تعريف الفراسة

الفراسة في اللغة بكسر الفاء[١] هي التَّثَبُّتُ والنَّظَرُ»[٢] قال الزَّبِيْدِيُّ: -الفِراسة بالكَسْر- اسم من التَّفَرُّسِ وهو التَّوسُّمُ»[٣].

الفراسة بكسر الفاء -هي: النظر والتَّثَبتُ والتأمُّلُ للشَّيءِ والبَصَرُ به»[٤].

وهي في الاصْطِلاح: «الظَّنُّ الصائبُ الناشِئُ عن تثبيتِ النَّظَرِ في الظاهرِ لإدْراكِ الباطنِ»[٥].

قال الرَّاغبُ: «الفِراسَةُ هي: الاستدلالُ بهيئاتِ الإنسانِ وأشكالِه وألوانِه، وأقْوالِه على أخلاقِه، وفضائلِه، ورذائلِه»[٦].

أقسام الفراسة:

١- تقسيم ابن الأثير.

قسَّمها ابن الأثير إلى قسمين:

أحدُهما ما دَلَّ ظاهرُ هذا الحديث عليه. وهو ما يوقعُه اللهُ -تعالى- في قلوب أوليائه، فيعلمون أحوالَ بعضِ النَّاسِ بنوعٍ من الكراماتِ، وإصابةُ الظَّنِّ والحُدْسِ.

---

(١) يقابل ذلك الفَراسة -بفتح الفاء- الثبات على الخيل، والحذقُ بأمرها والعلمُ بركوبها. وهي بكسْرِ الفَاء النَّظَرُ والتَّثَبُّتُ، والتأمُّل في الشَّيءِ والبَصَرُ به.

(٢) «التعريفاتُ» للجرجاني (١/ ٢١٢).

(٣) «تاج العَروس (١٦/ ٣٢٨).

(٤) لسان العرب (٦/ ١٥٩).

(٥) الفراسة في القرآن الكريم لعبد الشافي الشيخ.

(٦) «مفرداتُ الرَّاغب».

والثاني: نوع يُتَعَلَّم بالدَّلائل والتجارُب والخَلْق والأخْلاق فتعرفُ به أهوالُ النَّاس[١] وللناس فيه تصانيف قديمةٌ وحديثةٌ.

٢- تقسيم المناوي.

وعلى نفس التقسيم قَسَّمها المناوي، فقال:

الأول: ضَرْبٌ يحصل للإنسان عن خاطر، لا يُعرفُ سَبَبُهُ، وهو ضَرْبٌ من الإبهام، بل من الوحي، وهو الذي يُسَمَّى صاحبُهُ: المُحَدَّث، كما في خبر: إن يكن في هذه الأمَّة مُحَدَّث، فهو عُمَرُ» وقد يكون بالإلهام حالَ اليقظَة أو المَنام.

الثاني: يكون بصناعةٍ مُتَعلَّمةٍ، وهي معرفةُ الألوان والأشكال، وما بين الأمزْجَة والأخلاق، والأفعال الطبيعية، ومن عَرَفَ ذلكَ، وكان ذا فَهْمٍ ثاقبٍ قويَ فِراستُهُ»[٢].

٣- تقسيم ابن القَيِّم

وتنقسم الفِراسَةُ عند ابنِ القَيِّم -رحمَهُ اللهُ- إلى ثلاثَة أَقْسامٍ:

١- فِراسَةٌ إيمانيَّةٌ.

٢- فِراسَةُ الرِّياضة والجوع.

٣- فِراسةٌ خَلْقيَّةٌ.

قال -رحمهَ اللهُ- الفِراسةُ ثلاثةُ أنواعٍ:

١- إيمانيَّةٌ، وهي المتكلمُ فيها في هذه المنزلة وسببُها.

---

(١) «لسانُ العرب» (٦/ ١٥٩١٢)، و«تاج العَروس» (٤/ ٥٤).

(٢) «فَيضُ القدير» (١/ ١٨٦).

نورٌ يقذفُهُ اللهُ في قلب عبده يفرِّقُ به بينَ الحقِّ والباطلِ والحالي والعاطلِ والصادقِ والكاذبِ.

وحقيقتُها: أنها خاطرٌ يهجمُ على القلبِ ينفي ما يضادُّهُ، يَثِبُ على القَلبِ كوثوبِ الأسَدِ على الفريسَةِ لكنَّ الفراسة فعليةٌ بمعنى منفعولةٌ، وبناءُ الفراسة كبناءِ الولايَةِ والأمارةِ والسياسة.

وهذه «الفراسة» على حَسْبِ قوةِ الإيمانِ، فمن كان إيمانُهُ أقوى إيمانًا فهو أحَدُّ فراسةً.

٢- فراسةُ الرِّياضَةِ

الفراسةُ الثانية فراسةُ الرِّياضَةِ، والجوعِ، والسَّهَرِ والتخلِّي؛ فإن النَّفسَ إذا تجرَّدَتْ من العوائقِ صار لها من الفراسة والكَشْفِ بحسْبِ تجرُّدِها، وهذه فراسةٌ مشتركةٌ بين المؤمنِ والكافرِ، ولا تدل على إيمانٍ ولا على ولايةٍ، وكثيرٌ من الجُهَّالِ يغترُّ بها.

وللرهبانِ فيها وقائعُ معلومةٌ، وهي فراسة لا تكْشفُ عن حقٍّ نافعٍ ولا عن طريقٍ مستقيمٍ، بل كَشْفُها جزئيٌّ من جنسِ فراسَةِ الوُلاةِ، وأصحابِ عبارةِ الرؤيا والأطباءِ ونحوهم.

٣- فراسة خَلْقيةٌ

الفراسةُ الثالثةُ الفراسة الخَلْقية وهي التي صنَّف فيها الأطباءُ وغيرُهم واستدلُّوا بالخَلْقِ على الخُلُقِ لما بينَهما من الارْتباط الذي اقْتَضَتْهُ حكمةُ الله، كالاستدلال بصغَرِ الرأسِ الخارجِ عن العادة على صغَرِ العَقْلِ، وبكِبَرِه على كِبَرِه وبسَعَةِ الصَّدْرِ، وبُعْدِ ما بين جانبيه: على سَعةِ خُلُقِ صَاحبه، واحتماله وبَسْطَتِه. وبضيقه على ضيقه،

وبخمود العَين وكلال نظرها على بلادَة صاحبها، وضَعف حرارة قلبه، وبشدَّة بياضها مع إشرابه بحُمْرة- وهو الشَّكلُ- على شجَاعته وإقْدامه وفُطنَته وتبدو يدها مع حُمرتها وكثرة تقبلها على خيانته ومكْره وخداعه ومعظَمُ تعلُّق الفراسة بالعين فإنها مرآةُ القلب وعنوانُ ما فيه ثم باللسان. فإنه رسولُهُ وترجمانُهُ، وبالاستدلال بزُرْقَتها مع شَقْرَة صاحبها على رداءَته، وبالوَحْشَة التي ترى عليها على سوء داخله وفساد طَويَّته.

وكالاستدلال بإفراط الشَّعَر في السُّبوطة على البلادة، وبإفراطه في الجُعُود على الشَّرِّ، وباعتداله على اعتدال صاحبه[1].

●●●

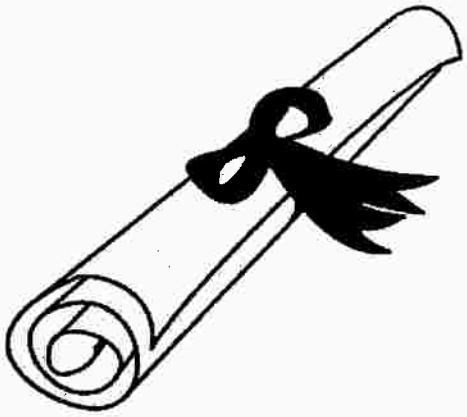

(١) مدارجُ السَّالكين (٣/ ٣٦٠-٣٦٦) باختصار يسير.

الفِراسةُ في القرآنِ الكريم

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥].

ذكر عددٌ من أهل العلم أنَّ هذه الآيةَ عن أهلِ الفِراسة، وهم الآخذون بالسِّيمى وهي العلامةُ (السماتُ الخَلْقيَّةُ).

قال مجاهد: للمتفرِّسين[١].

وقال ابن جزي في «تفسيره» (للمتوسِّمين أي للمتفرِّسين، ومنه فراسةُ المؤمن»[٢].

وقال الله-سبحانه وتعالى-: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [محمد: ٣٠].

قال ابن القيم -رحمه الله-: «الأول فراسة النَّظَر والعَين، والثاني فراسة الأُذُن والسَّمع»[٣].

وقال الله-سبحانه وتعالى-: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

فأخبرَ سبحانَهُ وتعالى أن للفقراء الذين أحْصروا في سبيل الله- أى: أوْقَفُوا حياتَهم لله على الجهاد وغيره -حقٌّ لأنَّهم أعفَّةٌ لا يتطلعَّون إلى ما في رحل غيرهمْ حتَّى أنَّ الجاهل الذي لا فراسةَ له يحسبُهم أغنياءَ لشدَّة عفَّتهمْ أما الفَطِنُ المتفرِّسُ في أحوال الناس فهو يعرفُهم بسيماهُمْ عن طريق الفراسة.

---

(١) «مدارج السَّالكين» (٣/ ٣٥٨).

(٢) «تفسير ابن جزي» (١/ ٨١٣).

(٣) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٥٨).

وقال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفتح: ٢٩].

قال علي بن أبي طلحةَ عن ابن عباسَ «سيماهم في وجوههم» يعني السَّمْتَ الحَسَنَ وقال مجاهدٌ وغيرُ واحدٍ: يعني الخُشُوعَ والتواضُعَ»[١].

وعلى العارفين -أيضًا- بهاءُ وعليهم من المحبَّة نورُ

●●●

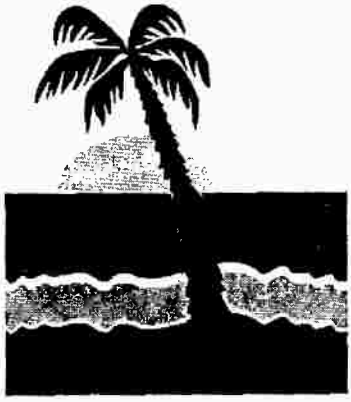

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٦١).

الفِراسة في السنة

عن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**إنَّ للَّه عبادًا يَعْرفونَ النَّاسَ بالتوسُّم**»(١).

قال المناوي -رحمه الله-: إن للَّه عبادًا يعرفونَ النَّاس» أي أحوالَهم وضمائرَهم (بالتَّوسُّم) أي التَّفَرُّس، غَرقوا في بحر شهوده فجاءَ عليهم بكَشْف الغطاء عن قُلوبهمْ، فأبصروا بها بواطنَ النَّاس، وأطَّلقوا على ضمائرهمْ، وأما مَنْ شُغِلَ بنفْسه ودواهيها، فليس من أهلِ هذا البابِ بل فِراسَتُهُ خَدَعَتْهُ نفسه له حتَّى تدسَّهُ في التُّراب»(٢).

عن أبي هريرةَ -رضي الله عنهُ- قال: قالَ -رسولُ الله- ﷺ-: «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس مُحَدَّثُون فإن يَكُ في أمتي أَحَدٌ فإنَّهُ عُمَرُ**»(٣) المحدث أي الصادقُ الظَّنِّ الملهَمُ الذي يلقى في نفسه الشيء فيخبر به فِراسة.

●●●

(١) «حسن» رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٢٧) (برقم ٢٩٣٥) ورواه الشهاب في مسنده (٢/ ١١٦) برقم (٥٠٠١) وحسنه الألباني.

(٢) «فيض القدير» (٢/ ٦٠٥).

(٣) رواه البخاري (٣٦٨٩).

أقوال العلماء في الفِراسة

قال أبو الدرداء -رضي الله عنه-: «اتَّقُوا فراسَةَ العلماء؛ فإنَّهمْ ينظرون بنور الله، إنه شيء يقذفُهُ اللهُ في قلوبهم، وعلى ألْسنتهمْ»(١).

قال الحَسَنُ البَصريُّ -رحمَهُ اللهُ-: «كان يقال إياكم وفِراسةَ المؤمنِ فإنَّهُ ينظرُ بنورِ الله»(٢).

قال الشافعيُّ -رحمَهُ اللهُ-: «خرجتُ إلى اليمنِ في طلبِ كُتُبِ الفِراسَةِ حتَّى كتبْتُها وجمعتُها»(٣).

وقال شاه الكرماني -رحمَهُ اللهُ-: «من غضَّ بصَرهُ عن المحارم، وأمْسَكَ نفسَهُ عن الشَّهَوات، وعمرَّ باطنَهُ بدَوامِ المراقَبَة، وظاهرَهُ باتِّباعِ السُّنَّةَ، وعوَّد نفسَهُ أكلَ الحَلال، لم تخطِئْ له فِراسةٌ»(٤).

وقال أبو سعيد الخراز: «من نظر بنورِ الفِراسَة نظر بنورِ الحقِّ، وتكون موادُّ علْمه من الحقِّ بلا شهود»(٥).

وقال الواسطي: «الفِراسةُ شعاشعُ أنوار لَمعتْ في القُلوب، وتمكُّنُ معرفَة جملة السَّرائر في الغُيوب من غيب إلى غيب، حتَّى يَشْهَدَ الأشياءَ من حيثُ أشْهَدَهُ الحقُّ إياها، فيتكلَّمُ عن ضمير الخَلق»(٦).

---

(١) «المقاصد الحسنة» للسخاوي (٥٩٨).
(٢) «مصنف عبد الرزاق» (١٩٦٧٤).
(٣) «المقاصد الحسنة» (٢٢٤).
(٤) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦١).
(٥) «المرجع السابق» (٣/ ٣٦٠).
(٦) «المراجع السابق» (٣/ ٣٦١).

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: «إذا جالستمُ أهلَ الصِّدق، فجالسوهُمْ بالصِّدْق؛ فإنهم جواسيسُ القلوب»(١).

وسئل سمنونُ عن الفراسة فأجاب إن من تفرسَ في نفسه فعرفها، وحقيقتها صحت لَهُ الفراسَةُ من غيرِه وأحْكَمَها»(٢).

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: «ما سألني أحدٌ عن شيءٍ إلا عرفتُ أفقيهٌ هو أو غيرُ فقيه»(٣).

ورُوِيَ عن الحَسَنِ البَصريِّ -رحمه الله- أنَّهُ دخلَ عليه عمرو بنُ عُبَيْد فقال: هذا سيِّدُ فتيان البَصْرة إنْ لم يُحْدِثْ، فكان من أمْرِه من القَدْرِ ما كان، حتى هَجَرَهُ عامَّة إخْوانه»(٤).

وقال ثعلبُ: الواسمُ النَّاظرُ إليك من فَراقك(٥) إلى قدميك، وأصْلُ التوَسُّم التثبُّتُ والتفكُّرُ، مأخوذ من الوَسْم وهو التأثيرُ بحديدة في جلد البعير وغيره، وذلك يكون بجَوْدَة القريحَة وحدَّة الخاطر، وصفاء الفكْر، زادَ غَيْرُهُ: وتفريغُ القلب من حَشْوِ الدُّنيا، وتطهيرُهُ من أوْناس المَعاصي وكُدُورَة الأخلاق وفُضول الدُّنيا»(٦).

وقال شيخ الإسلام الهروي -رحمه الله- «الفراسة استئناس حكمٍ غَيبٍ من غير اسْتِدْلالٍ بشاهده، ولا اختبارٍ بتَجْرِبَة»(٧).

وسئل بعض العارفين عن الفراسَة ما هي؟

فقال: أرواحٌ تتقلَّبُ في الملكوت، فتُشْرف على معاني الغُيوب، فتنطقُ عن أسرار الخَلقِ نطقَ مشاهدة لا نطقَ ظَنٍّ وحُسْبان»(٨).

---

(١) «المراجع السابق» (٣/ ٣٦٢).
(٢) «تاريخ بغداد» (٩/ ٢٣٦).
(٣) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٤٤).
(٤) «المرجع السابق» (١٠/ ٤٤).
(٥) «فراقك: أي من رأسك إلى قدمك.
(٦) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٤٤).
(٧) «منازل السائرين» (٨٠).
(٨) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦١).

وقال أبو عثمان المغربي -وقد سئل عن الفراسة:- فقال: «تضيء لَهُ أنوارُ العلم، فيبصر بها عجائب الغيب»(١).

وقال الحريريُّ لجلسائه: هل فيكم من إذا أرادَ اللهُ أن يُحْدِثَ في المملكة شيئًا أعلمَهُ قبل أنْ يبدو؟

قالوا: لا: قال: ابكوا على قلوبٍ لم تجدْ من الله شيئًا(٢).

وسُئِل الجُنيدُ عن الفراسة فقال: «هي مصادفَةُ الإصابَة. فقيل له: هي للمتفرِّس في وقت المصادفَة، أو على الأوقات؟ قال: لا، بل على الأوقات؛ لأنها موهبَةٌ، فهي معه كائنةٌ دائمةٌ»(٣) وقال ابن جعفر الحدادُ: الفراسَةُ أوَّلُ خاطرٍ بلا معارض، فإن عارضَهُ مُعَارِضٌ آخرُ من جِنْسه، فهو خاطرٌ وحديثُ نَفْسٍ»(٤).

وقال ابن حفص النيسابوري: ليس لأحد أن يدَّعيَ الفراسَة، ولكنْ يتَّقي الفراسَةَ من الغَيْر؛ لأنَّ النبيَّ -ﷺ- قال: «اتَّقوا فراسَةَ المؤمن؛ فإنَّهُ ينظُرُ بنورِ الله».

ولم يقل تفرَّسُوا، وكيف يصح دعوى الفراسَة لمن هو في محلٍّ اتقاء الفراسَة؟»(٥).

وقال القشيري: (قال الأستاذ: الفراسةُ خاطرٌ يهجُمُ على القلب، فينفي ما يضادُّه، وله على القلب حكمٌ، اشتقاقًا من فريسة السَّبُع، وليس في مقابلة الفراسَة مُجَوِّزاتُ للنَّفس، وهي على حسب قوَّة الإيمان، فكلُّ من كان أقوى إيمانًا، كان أحدَّ فراسةً»(٦).

---

(١) «فيض القدير» (١/ ١٨٦).
(٢) «فيض القدير» (١/ ١٨٦).
(٣) «التعريف لمذهب التصوف» (١٣٢١).
(٤) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦١).
(٥) «المرجع السابق» (٣/ ٣٦٢).
(٦) «الرسالة القشرية» «باب الفترة».

وقال ابن القيم -رحمه الله-:

«الفراسةُ الإيمانيةُ. . . سببها نورٌ يقذفُهُ اللهُ في قلب عبده، يفرقُ به بين الحقِّ والباطلِ، والصادق والكاذب. . . وهذه الفراسةُ على حسب قوة الإيمان، وكان أبو بكرٍ الصديقُ أعظمَ الأمة فراسةً»(١).

وقال -رحمهُ اللهُ-: «وأصلُ هذه الفراسَة من الحياة والنور الَّذين يهبُهما اللهُ -تعالى- لمن يشاءُ في عباده فيحيا القلبُ بذلك ويستنيرُ فلا تكادُ فراسته تخطئُ قال اللهُ -تعالى-: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[الأنعام: ١٢٢].

كان ميتًا بالكفرِ والجهلِ، فأحياه اللهُ بالإيمان والعلم، وجعل لَهُ بالقرآن والإيمان نورًا يستضيءُ به في الناس على قصدِ السبيلِ، ويمشي به في الظُّلَمِ»(٢).

وقال المناوي -رحمه الله-:

«وأصلُ الفراسة أنَّ بصرَ الرُّوح متَّصلٌ ببصر العقلِ في عين الإنسان، فالعين جارحةٌ والبصرُ من الرُّوح، وإدراكُ الأشياء من بينهما، فإذا تفرَّغَ العقلُ والرُّوحُ من أشغال النفس، أبصر الرُّوحُ، وأدركَ العقلُ ما أبصر الرُّوحُ، وإنما عجزُ العامَة عن هذا؛ لشغلِ أرواحهم بالنُّفُوس، واشتباك الشَهوات بها، فشُغلَ بصرُ الروح عن دَرْك الأشياء الباطنة، ومن أكبَّ على شَهَواته، وتشاغَلَ عن العُبوديَّة، حتَّى خلَّطَ على نفسه الأمورَ، وتراكمتْ عليه الظلماتُ، كيفَ يُبصرُ شيئًا غابَ عنهُ»(٣).

●●●

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦٠-٣٦٣).
(٢) «مدارج االسالكين» (٣/ ٣٦٤).
(٣) «تحفة الأحوذي» (٨/ ٤٤١).

الفِراسة عند العرب

كان العربُ أهلَ فِراسة لنشأتهم في بيئة عريقَة في الأخلاق ولا سيَّما الصدقُ وغيرتهمْ على الأعراض بما لا يكادُ يوجَدُ عند بعض مسلمي زماننا فبعث الله - سبحانه وتعالى- رسولَهُ ﷺ- ليتممَ لهم مكارمَ الأخلاق فمن قَبلَ منهم وهدى الله الذى جاء به سمت أخلاقهم إلى أفق بعيد وزادت فراستهم حتىً لكأن فِراسةَ البعضِ منهم كالنور الذي يهتكُ حجب الظلمات.

ومما يدلُّ علي الفِراسةِ عند العرب ما يأتي:

قال طريف بن تَميمٍ الغبريُّ:

أو كلَّما وردتْ عكاظَ قبيلةٌ ... بعثوا إليَّ عريفَهم يتوسَّمُ

وقال زهير بن أبي سُلْمَى:

وفيهن ملهى للصديق ومنظرٌ ... أنيق لعين النَّاظرِ المُتَوسِّمِ

ولما جاء الله بالإسلام تفَّرس كثيرٌ منهم في النَّبيِّ -ﷺ- فعلموا أنَّهُ صادقٌ وأن وجهَهَ ليس بوجه كذَّابٍ فمنهم من قِبلَ هدى الله ومنهم من صدَّه عنه الكبرُ والحسدُ.

فعن عبد الله بن سلام -رضي الله عنه- قال: لما قَدمَ رسولُ الله -ﷺ- المدينةَ انجفل[1] النَّاسَ إليه، وقيل قَدمَ رسول الله -ﷺ- فجئتُ في الناس لأنظرَ إليه فلمَّا استبنْتُ وجهَ رسولِ الله -ﷺ- عرفتُ أن وجهَهُ ليس بوَجْهِ كذَّابٍ وكان أولُ شيءٍ

(١) انجفل الناس: أي ذهبن إليه مسرعين.

تكلَّمَ به أن قال: «يا أيُّها الناسُ: أفْشوا السَّلامَ، وأطعموا الطعامَ، وصلُّوا والناسُ نيامٌ، تدخلوا الجنة بسلامٍ»(١).

وقال ابن رواحه -رضي الله عنه:-

إني توسَّمتُ فيك الخيرَ أعرفُهُ ... فِراسةً خالفَتْهم في الذي نظروا

ولو سألتَ أو استنفرتَ بعضَهُمُ ... في جُلِّ أمرِك ما أوَوا ولا نَصَروا

فثبَّتَ الله ما آتاك من حَسَنٍ ... تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصِروا

●●●

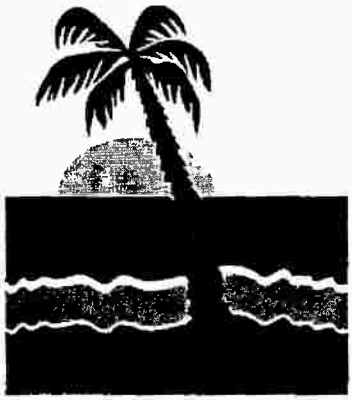

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥) وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه (١٧٤) والدارمي (١٥٦).

الفِراسة في الأمثال والحكم

١- «من لم ينتفعْ بظنِّه، لم ينتفع بيقينه».

يُضْرب في حَمْد الفِراسَة.

٢- «صوابُ الظَّنِّ البابُ الأكبرُ من الفِراسَة».

قال محمدُ بن حرب؛ لأن الفِراسَةَ تفترقُ عن الظنِّ عمومًا

لذ قَيَّدَها العلماءُ بأنها ظنٌّ صائبٌ؛ فجاء محمدُ بن حرب بالجوهر.

٣- قالوا: لابدَّ في باب البَصَر بجواهر الرِّجال من صِدْق الحسِّ، ومن صحَّة الفِراسَة، ومن الاستدلال في البَعْض على الكلِّ كما استدلَّت بنتُ شُعيب عليه السلام حين قضتْ لموسى -عليه السلام- بالأمانة والقوة، وهما الرُّكنان اللَّذان تُبنى عليهما الوكالةُ.

٤- «لا عاشَ بخير من لم يَرَ برأيه ما لمْ يَرَ بعَينه». قال ابنُ الزُّبير -رضيَ اللهُ عنهما- والمقصودُ أنَّ الرأيَ تتقدمُهُ فِراسةٌ صادقةٌ نتيجةَ تجربةٍ وبعدِ نظرٍ كالذي حصل لابنة شعيبٍ في موسى -عليهما السلام-

٥- «من لم تعرفْكَ غائبًا أذناه، لم تعرفْكَ شاهدًا عيناه» أي أن من لم يعرفْك غائبًا بأوصافكَ وصدقك لم يعرفْكَ غائبًا وقد عَرَفَ هرقلُ الروم صدقَ النبيِّ -ﷺ- وأنَّه نبيٌّ حين سَمِعَ عنه من أبي سفيانَ -رضى اللهُ عنهُ- لكن صَدَّهُ عن الإيمان به الخوفُ على ملكه أنْ يَزولَ![1].

(١) انظر: القصة كاملة في «صحيح البخاري» (٦٧٧١)، ومسلم (١٧٧٣).

٦- قيل: كما أنَّ الأبصارَ تنطبعُ فيها المشاهداتُ إذا سَلمتْ من صَدأ الآفات، فكذلك العقولُ مرايا تنطبعُ فيها الغائباتُ، إذا سَلمتْ من صدأ الشَّهَوات.

وهي حكمةٌ عظيمةُ القدرِ جليلةُ الخَطرِ تؤكِّدُ على أنَّ الفراسةَ الإيمانيَّةَ لا تكونَ إلا لمن صَلُحَ حالُهُ مع الله.

٧- أشارَ ابنُ عباسٍ على عليٍّ -رضي الله عنهم- بشيءٍ فلم يعملْ به، عُمَّ نَدِمَ فقال: (ويحَ ابنِ عباسٍ، كأنَّما ينظرُ إلى الغيبِ من وراءِ سترٍ رقيق).

٨- يقال: ألمعيَّةُ ألمعيَّةُ ابنِ عبَّاسٍ، وفراسَتُهُ فراسَةُ إياسٍ.

٩- يقالُ: فلانٌ جاسوسُ القلوب. إذا كان حاذقَ الفراسَة، وأنَّ لَهُ نظرةً تهتكُ حُجُبَ الضَّمير وتصيبُ مقاتلَ الغيب، وتنكشفُ لهُ مَغيِّباتُ الصُّدور.

ويقالُ: هذه فِراسةٌ ذاتُ بصيرةٍ. أي: صادقةٌ.

●●●

فيمن تفرس في صبي أمراً فكان كما تفرس

رأى بكيرُ بنُ الأخنسِ المهلبَ وهو غلامٌ فقال: خذوني به إن لم يَفُقْ سراتَهم ويبرعْ حتَّى لا يكونَ له مِثْلٌ! وكان كما قال.

ونظر رجلٌ إلى معاوية وكان صغيراً فقال: إني أظنُّ هذا الغلامَ سيسودُ قومَه! فقالت هندُ: ثَكِلَتْهُ أمُّه إن كان لا يسودُ إلا قومَهُ.

ورأى رجلٌ ابنَ السكيتِ وهو صغيرٌ يُسألُ فيجيبُ فقال: إن هذا الغلامَ ينالُ خيراً.

ونظر الإمامُ مالكٌ للشافعيِّ، أوَّلَ ما قَدِمَ عليه -ساعةً ثُمَّ قال: ما اسمُكَ؟ فقال: محمدٌ.

قال: يا محمدُ أتَّقِ اللهَ واجْتَنِبِ المعاصيَ فإنَّهُ سيكونُ لك شأنٌ من الشأن.

وتفرس المراكشيُّ في الإمامِ النوويِّ -رحمهما اللهُ- فذهبَ إلى معلِّمه فأوصاهُ به خيراً وقال له: إنه يُرجى أن يكون أعلمَ أهلِ زمانه وأزهدَهُمْ ويَنْتَفِعَ الناسُ به».

وقَدِمَ بعضُ كبارِ العلماء من حلبَ إلى دمَشْقَ فصادفَ خياطًا في حانوته فقال: سمعتُ في البلاد بصبي يُقالُ له: «أحمدُ بنُ تيميَةَ»، وأنه سريعُ الحفظِ وقد جئتُ إليه قاصدًا لعَلِّي أراهُ».

قال له الخياط:

هذه طريقُ كُتابِه، وهو الآنَ ما جاء، فاقْعُدْ عندنا، الساعةَ يجيءُ يعبرُ علينا ذاهبًا إلى الكتَّاب».

فجلس الشيخُ الحَلَبيُّ قليلاً، فمرَّ الصبيانُ، فقال الخياطُ للحلبيِّ: ذاك الصبيُّ الذي معه اللوحُ الكبيرُ، هو أحمدُ بنُ تيميةَ!

فنادهُ الشيخُ، فجاء إليه، فتناولَ الشيخُ اللوحَ فنظرَ فيه ثمَّ قال:

يا ولدي أمْسَحْ هذا حتى أُمليَ عليكَ شيئًا تكتُبُهُ.

ففعل، فأملى عليه من فنونِ الحديثِ أحدَ عَشَرَ أو ثلاثةَ عَشَرَ حديثًا، وقال له: أقرأ هذا:

فلم يزدْ على أن تأمَّلَهُ مرةً بعد كتابَتِه إيَّاهُ ثُمَّ دفعه إليه وقال: أسْمِعْهُ عليَّ:

فقرأ عليه عرضًا كأحْسَنِ ما أنت سامعٌ، فقال له الشيخ:

أمسَحْ هذا!

ففعل، فأملى عليه عدةَ أسانيدَ أنْتَخَبَها، ثم قال:

أقرأ هذا.

فنظر فيه، كما فعل أوَّلَ مرةٍ، فقام الشيخُ، وهو يقول:

إن عاش هذا الصبيُّ ليكونَنَّ له شأنٌ عظيمٌ، فإن هذا لم يُرَ مثلُهُ»[1].

●●●

(١) «العقود الدرية» (ص ٤).

الفِراسةُ علمٌ قائمٌ بذاتِه

الفراسةُ فَنٌّ وعلمٌ قائمٌ بذاته أطْلَقَ عليه العلماءُ لفظَ علمٍ والعلمُ هو ما يُقَدَّمُ على قواعدَ وأسس ثابتة لذا قُيِّدَ بأنَّهُ ظنٌّ صائبٌ حتَّى لا يختلطَ بالظنِّ المذمومِ في قوله تعالى: ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

ووفي «الصحيحين».

قال رسولُ الله -ﷺ-: «إياكم والظنَّ فإن الظنَّ أكْذبُ الحديثِ».

●●●

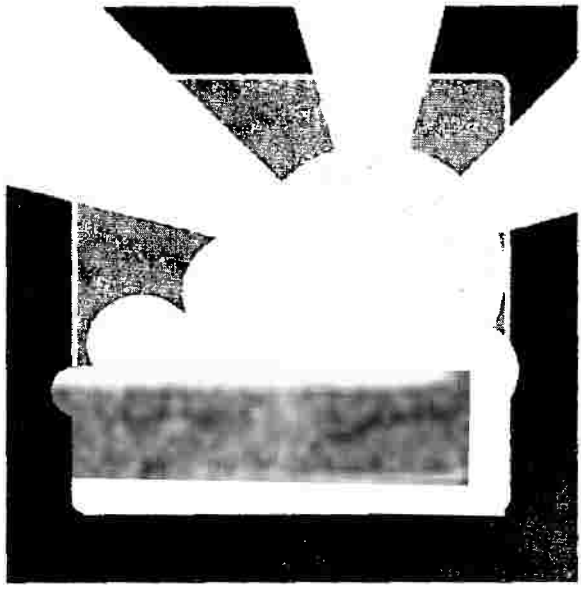

(١) رواه البخاريُّ (١٥٤٣)، ومسلمٌ (٢٥٦٣).

الفراسةُ علمٌ عربيٌّ

ما منْ شَكٍّ أنَّ الفراسةَ علمٌ مر بهِ أصيلٌ برعَ فيه العربُ فكانوا السابقين إليه قبلَ غيرهم من الأمَم(١) أخذَهُ عنهم الغَربُ فطوَّرُوْهُ حتى كأنَّهُ ليس لهم غيرُهُ وأصبح علمًا يُدَرَّسُ لديهمْ مُنْذُ أمدٍ ولا زالَ!

---

(١) أنواعُ الفراسة قديمًا:

١- فراسَة الأثَر (القيافَةُ): تتبع آثار الأقدام والخفاف والنِّعال في التُّرْبَة.

٢- فَراسة البَشر (القيافَةُ): معرفةُ الإنسان بالنَّظر إلى بَشَراتهَم وملامحَهمْ وأجْسادهم.

٣- فَراسة ومعرفة الجبال واستنباطُ معادنَ الفَلزات.

٤- فراسة ومعرفة مصادر المَياه (الريافَةُ) من التربة والرائحة ورؤية النبات وحركات الحيوانات المخصوصَة.

٥- الاستدلالُ بأحوال البروق والسحاب والمَطر والرِّيح.

٦- فراسةُ اللغة.

٧- فَراسَةُ طباع وأخلاق الشُّعوب (جزءٌ من فراسة وجوه البَشر).

٨- الفراسةُ المتعلِّقَةُ بحذْق المَرْء في صَنْعَته.

٩- الفَراسةُ المتعلِّقَةُ بأخلاق الحَيوانات وصَفاتها المحمودَة والمذمومَة الخيلُ الإبلُ.. الخ.

١٠- فَراسة الحسِّ (اللون، الذوق، اللمس).

١١- فَراسةُ السلوك، والمَزاج، والأصوات، والأحوال النفسيَّة الفراسةُ حديثًا.

(٢) أنواع الفراسة حديثًا:

١- فراسةَ الوجوه (علم الفيسيونومى).

٢- فَراسة الإيماءات والحركات (علم الكينيسيكز) وفيه فراسة الإحساس، والنَّبرات والهيئات، والمَظْهَر، والوضَعيَّات... الخ.

٣- فراسة خَطِّ اليَد (علومُ الجرافولوجي، والجرافونومي، والجرافوثيرابي).

٤- فَراسة الألوان (سيلولوجية الألوان، تفسيرُ الألوان الهالات النورانيَّة).

٥- الفراسةُ المتخصِّصَةُ (يعرفُها الشخصُ مع الخبرة والتَّجربَة والدِّراسة.

في مجال العمل: بائعُ العسل، بائع الذَّهب والألماس، بائعُ العطور، والأطباءُ العُلَمَّاءُ أو بائعُ الأعشابَ الطبيبُ أو الجراحُ، المهندسُ، خبير الأرصاد، خبيرُ تتبُّع الأثر الجنائي، عالمُ تصنيف النبات أو الحيوان، فني السيارات، فني الكمبيوتر... الخ.

فوائد الفراسة

للفراسة فوائدُ جمةٌ غزيرةٌ يعرفُها خواصُّ الناس فمن فوائدها. -معرفةُ النفس البشريَّة، وبالتالي تحقيقُ الأُلْفَة والتوافُق التامِّ مع الأخيار منهم والبعدُ عن شرارهم.

- معرفةُ أصناف الناس وطريقة تفكيرهم والتأثير فيهم بتوجيههم إلى الخير وتحذيرهم من الشر.

- تحليلٌ تام للشخصيَّة بحيثُ يُصْبحُ الشخصُ الذي أمامَك وكأنه كتابٌ مفتوحٌ -إننا نعيشُ في زمن يحتاجُ فيه المؤمنُ أن يكونَ يقظًا لديه شيءٌ من الفراسة وإلا لَتَخَطَّفَتْهُ الرياحُ قال فخرُ الدين الرازيُّ: «إن الإنسانَ مدنيٌّ بالطبع؛ فلا ينفكُّ عن مخالطة الناس، والشَّرُّ فاشٍ في الخلق، وإذا كانت هذه الصناعةُ تفيدُنا معرفةَ أخلاقِ الناس في الخير والشرِّ كانت المنفعةُ جليلةً.

وإنَّ راضةَ البهائم[1] يستدلُّون بالصفات المحسوسَة للخَيْل، والبغال والحمير، وسائر الحيوانات التي يُريدونَ رياضتَها على أخلاقها الحَسنة والقَبيحة، فإذا كان هذا المعنى ظاهرَ الحصول في حقِّ البهائم، والسباعِ، والطيورِ، فلان يكونَ مُعْتَبَرًا في حقِّ الناسِ كان أولى»[2].

وبالجملة ففوائد الفراسة لا يَعُدُّها العادُّ يَسْتَنْفدُ لها العُمُرَ وتأتي على الورق ولكنْ يكفي من الزَّاد ما يبلِّغُ المَحَلَّ ومن القلادَة ما أحاطَ بالعُنُق.

---

(١) يقال: راض المُهْر أي: ذَلَّلَهُ. والراضةُ: جمعُ رائض. والناظرُ في زماننا يرى كيفَ أنَّ ناسًا راضوا السباعَ المتوحشةَ والطيورُ الجارحةَ يجد ذلك في ألعابِّ السيرك ما يدعو للدَّهشَة فهل ذلك جاءَ عَبَثًا أمَا أنَّهُ بعد دراسة لأخلاقها والاستدلال بالأمور الظاهرة منها على الأخلاق الباطنة ليَعْرفَ الرائضُ ما يأتي منها ويَذَرُ ليتمكنَ من التحكم فيها والتأثر عليها ألا يكونُ الإنسانُ أولى بذلك وهو من أذكياء خلق الله!

(٢) «الفراسة» للإمام فخر الدين الرازيِّ (٢١-٢٢).

حاجةُ الناسِ إلى الفِراسَةِ

الناسُ بحاجة إلى الفراسَة لا تقلُّ عن حاجتهم إلى الأدب بل أشَدُّ ولو لم يكنْ من فائدتها إلا التأملُ والنظرُ في عواقب الأمور ومآلاتها لكان المقصِّرُ عن تعلُّمها فاتَهُ بابٌ من أبواب الأدب بل أعظمُ أبوابه.

وتتأكَّدُ الفراسَةُ في حَقِّ ما يأتي:

١- العلماءُ والمربُّون

العلماء والمربُّون بحاجة إلى التوسُّم في طلابهم لمعرفَة قُدُراتهمْ الذِّهنية والعلمية، ليُعْطُوا كلَّ شخص من الاهتمام بَحَسْبه، قال الماورديُّ -رحمه اللهُ-: «ينبغِي أن يكونَ للعالم فراسةٌ يتوسَّمُ بها المتعلِّمَ، ليعرفَ مَبْلغَ طاقته، وقَدْرَ استحقاقه، ليعطيَهُ ما يتحمَّلُهُ، بذكائه، أو يَضْعُفُ عنه ببلادته، فإنَّهُ أروحُ للعالِم، وأنجحُ للمتعَلِّم»[(١)].

٢- القضاةُ:

القضاةُ بحاجة إلى التوسُّم في الخصوم وجُلُّ قضاة الإسلام كانوا أصحابَ فراسة تعينُهم علي معرفَة المُحقِّ من المُبْطِل[(٢)] قال ابنُ فرحونَ -رحمهُ اللهُ-: «لا يُسْتَحَبُّ للقاضي أن يستعملَ الفراسةَ، ويراقبَ أحوالَ الخصْمَين عند الإدلاء بالحُجج ودعوى الحقوق، فإن توسَّمَ في أحد الخصْمَين أنَّه أبْطَنَ شُبْهةً، فليتلطَّفْ في الكَشْف والفَحْص عن حقيقة ما توهَّمَ فيه»[(٣)].

---

(١) «أدب الدنيا والدين» (٨١).

(٢) سيأتي الحديث عن فراسة القضاء في باب مستقل لأهميته. إن شاءَ اللهُ.

(٣) «تبصرةُ الحكَّام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام» لابنِ فَرْحُون (٢/ ٢١٦). وسمي بابن فرحون لموافقته لاسم أُمِّه.

٣- الأمراءُ والحكّامُ

ما منْ شكٍّ أنَّهُ ما من أحد يلي أمرًا من أمور المسلمين ألا وعندَهُ قَدْرٌ من الفراسَة ومن رُزِقَ الفراسة فقدْ رُزِقَ حظًّا عظيمًا من السياسَة حتىَّ لو أنَّ بينَهُ وبين رعيَّته شَعْرَةً ما انقطعتْ مع نَظَرِت العواقب بعيد كما قيل:

بصيـرٌ بأعـقـابِ الأمـورِ كـأنَّمـا ... يخـاطبُـهُ في كُلِّ أمـرٍ عـواقـبُـهْ

٤- رجالُ الأمنِ

رجالُ الأمن من أحْوَجِ الناس إلى الفراسَة إذ تُمكِّنُهُمْ من معرفَة المُجْرمينَ وأماكن تواجـدهَم من خـلال قَـصَّـاصى الأثر الذين يَسْتَـدلُّون من آثار أرجُلهم وأيديهم، وإطارات سيارتهم أو من خلال صورة تقريبيَّة للمجرم من خلال المعلومات المتوافرَة عنهُ. ومن خلال الكَشْف عليهم عند التحقيق والتفرُّس في عُيُونهم وكلامهم ودقَّة قلوبهم بَلْ من تَمَيَّزَ بالفراسَة لا يمكنُ أن تخدمَهَ عمليَّاتُ التجميل التي تُغَيِّرُ وجهَ الإنسان وهذا يفعلُهُ العريقُ في الإجرام حيث يفرُّ إلى دولة غير دولته وهناكَ يُجْري عمليةَ تجميل ليعودَ بوجْه آخَر وأسْم مُستعَار!

٥- الدعاةُ إلى اللهِ

الدعاةُ إلى الله بحاجة إلى الفراسَة آكدُ من غيرهم ليعرفوا طبائعَ الناسَ ومدى استعدادهم لقَبول الحقّ[1] ودخولَهُم في هذا الدِّين بحاجة لمعرفة الطائع من العاصي، وقاسي القلب من المُوَسْوس والمستعدِّ لقَبول النصيحَة من المُعْرض، والمُتَلَهِّف لدين الفطْرة من المعاند للفطْرَة ومن يحملُ من الشُّبُهات حملَ بعير من صاحب الشَّهوات. وهلمَّ جرًا فيكونُ وَضعُ الدواء في موضعه وذلك من أسباب

(١) تحرص بعض الجماعات على أن يأخذ المنظرون لها دورات في «التنمية البشرية» ليتمكنوا من النجاح في دعوتهم والتنمية البشرية تعتمد على الفراسة إلى حدٍّ ما.

نجاح الداعية إلى الله وشواهدُ هذا الباب من السنَّة وسيرَ السَّلَف بحاجة إلى سِفْر من الأسفار فمنْ ذَلكَ أن النبيَّ -ﷺ- لما رأى ما يوَجْه ثُمامةَ بن أثال وهو مربوطٌ في المسجد قال: أطلقوا ثُمامةَ فذهبَ وأغتسلُ ثم عادَ ليعلنَ إسلامَهُ[1] ولما رأى ما بوجه أبي سُفيانَ وما يعنُدهُ عن دين الفطرْة من حبِّ الفَخْر قال: «من دخلَ بيتَ أبي سُفيانَ فهو آمنٌ»[2] فلم يلبَثْ حتى أعلنَ إسلامَهُ وبالجُملة فتلكَ قَطْرةٌ من قَطْرة ومن طريف ما يُذكرُ أن الجنيدَ يأتيه شابٌ نصراني في صورة مسلم فقال لهُ: يا أباَ القاسمِ! ما معنى قول النبيِّ -ﷺ-: «اتَّقُوا فراسةَ المؤمنِ فإنَّهُ يرى بنورِ اللهِ»[3]؟

---

(١) رواه البخاري (٤٦٢)، ومسلم (١٧٦٤).

(٢) رواه مسلم (١٧٨٠).

(٣) الحديثُ ضعيفٌ جدًا رواه الترمذيُّ (٣١٢٧) من حديث أبي سعيد الخُدْريِّ -رضي الله عنه-، وإسنادَهُ ضعيفٌ، فيه عطيَّةُ بنْ سعيد العوفي ضعَّفه أحمَد وأبو زرعَة، وفيه مُصعَبُ بن سلاَّمَ ضعَّفه عليُّ بن المديني، ولابن معين فيه قولان، وقال ابن حبانَ: كثير الغَلَط لا يُحتَجُّ به، وقال ابنُ عَدَيٍّ: ولمصعبَ أحاديثُ غيرُ ما ذكرتُ غرائبُ وأرجو أنه لا بأسَ به وأمَّا ما انقلبتْ عليه فإنَّهُ غلطٌ منه لا متعمدٌ.

والظاهرُ أن حديثَه هذا مما غَلطَ فيه، وانقلبَ عليه، فقد روى الحديثَ سفيانُ عن عمرو بن قيس- الراوي عنه مُصْعَبٌ هذا الحَديثَ -قال: كان يَقالُ: اتَّقوا فراسَةَ المؤمن»، وهذا الذي صوَّبهُ العقيليُّ في الضعفاء» (٤/ ١٢٩)، والخطيبُ البغداديُّ في «تاريخ بَغدادَ» (٣/ ١٩١-١٩٢) ورواه الطبرانيُّ في الكبير في «التفسير» (١٤/ ٤٦)، وأبو نعيم في «الحلْيَة» (٤/ ٩٤) من حديث ابن عُمَرَ -رضي اللهُ عنهما- وإسنادُهُ ضَعيفٌ جدًا، فيه فراتُ بنُ السائبَ، قال البخاري: منكرُ الحديث، تركوه، وقال الدارقُطني: متروكٌ.

ورواه ابن جُرير -أيضًا- (١٤/ ٤٦) من حديث ثوبان -رضي الله عنه-، وإسنادُهُ ضعيفٌ جدًا، فيه مؤمَّلُ بنُ سَعيد وسليمانُ بن سَلَمةَ، وكلاهما منكرُ الحديث كما قال أبو حاتم الرازيُّ، وقال ابنُ حبانَ عن مؤمَّلَ بن سعيد: منكَرُ الحديث جدًا، روى عنه سَليمانُ بن سَلَمةَ الخبائريُّ، فلا أدري البليةُ منه أو من سَليمان.

والحديثُ: حكَمَ عليه الحافظُ ابنُ الجوزيِّ بالوضع، والألبانيُّ بالضَّعف -كما في «السلسلة الضعيفة» (١٨٢١)- والصوابُ التوسُّطُ وأنَه ضعيفٌ جدًا.

ويغني عَن هذا الحديث حديثُ أنس -رضي الله عنه- قال: قال النبيُّ -ﷺ-: «إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسُّم» رواه الطبرانيُّ في «الأوسط» (٣/ ٢٠٧)، وابنُ جرير في =

فأطرقَ الجُنيدُ، ثم رفَعَ رأسَهُ إليه، وقال: أسْلِمْ فقد آنَ لَكَ أن تُسْلِمَ قال فأسلم الغلام»(١).

٦- الأطباءُ

الفراسةُ دخلتْ مُنْذ القدمِ في تشخيصِ الأمراضِ والعَلِلِ التي تعتري الجسمَ البشريَّ(٢).

قال ابنُ القَيِّم -رحمهُ اللهُ-: «وللأطباء فراسةٌ معروفةٌ من حذقهمْ في صناعتهم، ومن أحبَّ الوقوفَ عليها فليطالعْ تاريخَهُمْ وأخبارَهمْ. وقريبٌ من نصفِ الطبِّ فراسةٌ صادقةٌ يَقترفُ بها تَجْرِبَةٌ»(٣).

●●●

= «التفسير (١٤/ ٤٦) قال الهيثميُّ رواه البزارُ والطبراني في الأوسط وإسنادُهُ حسنٌ مجمعُ الزوائد (١٠/ ٢٦٨). وحسَّنَهُ الألبانيّ في «السلسلة الصحيحة» (١٦٩٣).

(١) «البدايةُ والنهايةُ» (١١/ ١٢٢)، و«مدارجُ السالكين» (٣/ ٣٦٢).

(٢) يقولَ بعضُ المتخصِّصينَ في الطبِّ: «ولتشابُه الأعراض في كثير من الأمراض فعندئذ يجوزُ للطبيب إعمالُ فراسته مع الاستفادة من خبراته الشخصيَّة وتجاربه وأسلوب التشخيص التفريقي. من أجلِ تشخيصِ المرض ووصف العلاج، علمًا بأنَّ اللهَ -عزَّ وَجَلَّ- قد وَهَبَ بعضَ الخلق فراسةً ثاقبةً تكادُ في بعض الحالات تتفوقَ على الوسائل الأخرى، وأذكرُ على سبيل المثال زميلنا في كليَّة الطبِّ (ث، ق) الذي كان يتمتعُ بفراسة أذْهَلَتْ حتَّى أساتذتنا الكبارَ فقد كان يكفي هذا الزميلَ أنَ يَنْظُرَ إلى المريض نظرةً متفحصةً ليقولُ بعْدَ ذلك بثقة تامَّة: إن مرضَهُ هو كيتْ وكيتْ!

ثم تأتي التحاليلُ المخبريَّةُ، والصور الشُّعاعيَّةُ، وغيرُهَا من وسائلِ التشخيصِ المعقَّدة لتؤكِّدَ ما ذهبَ إليه هذا الزميلُ الذي نادرًا ما كانت فراستُهُ تخطئُ.

(٣) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦٥).

فروقٌ لابُدَّ للمُتَفَرِّسِ من معرفتها

١- الفرقُ بين الفِراسةِ وقِيافَةِ البَشَرِ[١]

الفراسةُ هي الاستدلالُ بالأمور الظاهرة على الأمور الخَفيَّة لما تقدَّمَ والقيافَةُ هي التي يَعرِفُ بها القائفُ نَسَبَ الشَّخْصِ من أبيه عند ما يَتَفَرَّسُ في خِلْقتهما[١].

ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث عائشةَ -رضي الله عنها- قالتْ: دخلَ عليَّ رسول الله -ﷺ- ذاتَ يومٍ سروراً[٣] فقال: يا عائشة! ألم تري أن مجززاً المدلجيَّ دخل عليَّ فرأى أُسامةَ وزيداً وعليهما قطيفَةٌ قد غطَّيا رؤوسهما وبدتْ أقدامهما فقال: إنَّ هذه الأقدامَ بعضُها من بَعْضٍ».

٢- الفرقُ بين الفِراسةِ وقِيافةِ الأثرِ:

قد تقدمَ تعريفُ الفراسة فلا نعيدُ، وأما قيافَةُ الأثر فكما يقولُ الرازيُّ -رحمه اللهُ-: «هي عبارةٌ عن تتبُّعِ أثرِ الأقدامِ، والأخفافِ، والنِّعالِ في الطرق القابلة

(١) قال الرازي قال الرازي في كتابه «الفراسة» (٢٧-٢٨) قيافَةُ البشر هي صناعةٌ يُستَدلُّ بها على معرفَةِ الإنسان وإنما سُمِّيَ هذا النوعُ بقيافة البشر لأجل أنَّ صاحبَها ينظرُ في بشَرات الناس وجلودهم وما يَتْبَعُ ذلك من هيئات الأعضاء وخصوصاً الأقدام فيستدلُّ بتلكَ الأحوال على حصولَ النَّسب وحاصلُ الكلام فيها: أنه ثبتَ في المباحث الطبية أنَّه لابُدَّ من حصول المشابهَة بين الأولادَ والوالدَين ثم تلك المشابهةُ قد تقعُ في أمور ظاهرة يعرفُها كلُّ أحد، وقد تقعُ -أيضاً- في أمور خَفيَّة لا يدركُها إلا أربابُ الكمال والتمام في القوَّة الباصرة وفي القوَّة الحافظة.
وهذا النَّوعُ من العلم موجودٌ في العربَ فقط، وفي قبائلَ معينة منهم مثل بني مَدْلجَ وغيرهم».

(٢) رواه مسلم (١٤٥٤).

(٣) سبب سروره -ﷺ- لأن في شهادَة هذه القائف ردًا مفحمًا على المنافقين الذين طعنوا في نسب أسامةَ من أبيه زيد؛ لأنَّ أسامةَ كان أسودَ وزيداً كان أبيضَ فجاء هذا الرجلُ شاهداً من تلقاء نفسه وكان خبيراً بالقيافَة.

للأثر، وهي التي تكون تَرَبَةً. يتشكَّلُ القدمُ بالذي يوضَعُ عليه، فإن القائفَ قد تهيَّأ له بهذه الصناعة أن ينتفعَ انتفاعًا ظاهرًا في دَرْك الطيبات ووُجدَ إن الضَّوال[1] وهذه الصناعةُ قوامُها بقوة القوة الباصرة، وقوة القوة الخيالية الحافظة»[2].

٣- الفرق بين الفراسة والظن:

الفرقُ بين الفراسة والظنِّ أن الظَّنَّ يُخْطِىءُ ويُصيب وهو يكُونُ مع ظُلْمَة القلب ونُوره، ولهذا أمَرَ تعالى باجتناب كثيرٍ منه وأخبرُ أن بعضَهُ إثمٌ.

---

(١) وجدان الضوال: الاهتداءُ بهذه الأقدام إلى ما يَضِلُّ في الصحراء من القوافل. والضَّوَال: جمع ضالَّة، وهي ما يُضلُّ الطريقَ، فالهدفُ منها الاهتداءُ إلى من يغرس الناس أو ما يَضِلُّ من الحيوان.
ومن طريف ما يُروى في هذا الباب.
أنه خرج ثلاثةٌ من العرب في حاجة لهم، وفي الطريق وجدوا رجلاً يبحثُ عن شيء ما فقالَ لهمْ الرجلُ هل رأيتم جَملاً فقال الأولُ هل هو أعورُ فقال الرجلُ نعم فقال الثاني هل هو أقطبُ الذَّيل (ذيلُهُ قصير جدًا) فقال الرجلُ نعمْ فقال الثالث هل هو أعْرجُ فقال الرجل: نعم فظنَّ الرجلُ أنهم رأوهُ لأنهم وصفوا الجملَ وصفًا دقيقًا ففرح فقال هل رأيتموه فقالوا: لا. فظَنَّ أنهم سرقوه، فرفعَ أمرَهم إلى القاضي فسألَ القاضي الأولَ: كيف عرفْتَ أنَ الجملَ أعورٌ؟ فقال: لأن الجملَ الأعورَ غالبًا يأكلُ من جانب العين التي ترى بها فرأيتُ أنَّهُ كانَ يأكلُ من ناحية ويتركُ ناحيةً فعلمتُ أن أعورُ. ثم سألَ الثاني كيف عرفت أن الجملَ أقطبُ الذَّيل؟ فقال: إن من عادة الجمل السليم أن يحرِّكَ ذيلهُ يمينًا وشمالاً أثناء إخراجه لفَضَلاته ويَنْتُجُ من ذلك أن البعرَ يكونُ مُمَزَّقًا في الأرض إلا أني رأيتُ البصر مجتمعًا فعلمتُ أنَ الجملَ كَانَ أقطبَ الذيل.
ثم سألَ الثالث: كيف علمتَ أن الجملَ أعرجُ؟ فقال: رأيتُ ذلك في آثار خُفِّ الجملِ على الأرض فرأيتُ أثرًا خفيفًا وأثرًا ثقيلاً فعلمتُ أنَّ الجملَ أعرجُ.
فاقتنعَ القاضي! وقال لصاحب الجمل اذهبْ فابحثْ عن جملكَ!
ويُذكرُ أن أحدَهم سافر ليلاً إلى قرية من القرى لزيارة فتاة فَنبحْتهُ كلابُها فتبعَهُ أهل القرية لكنه استطاعَ الإفلاتَ منهم ثُمَّ غيَّرَ حذاءَهُ بحذاء آخرَ وجاءَهم من طريق إخرى مستفسرًا عن أموالهم وبعدَ عام بدأ يستعمل الحذاءَ فعرف أهلُ القرية حالهُ فأمسكوه.

٢- «الفراسة» (٢٧).

وأما الفراسةُ فقد أثنى الله -تعالى- أهلها ومَدحَهم وهي لا تَحْدُثُ إلا لقَلْب قد تطهَّرَ وتصفَّى وتنزهَ من الأدناس وقَرُبَ منَ الله -تعالى- فأصبح صاحبُهُ يُنَظُرُ بنُور الله الَّذي جعلَهُ في قلبه، ذلك لأنَّ التعبَ إذا قَرُبَ من الله انقطعتْ عنه معارضاتُ السُّوء المانعة من معرفَةَ الحقِّ وإدراكه، وكان تلقيه من مشكاة قريبة من الله بحَسَب قُربه منْهُ، وأضاء اللهُ له النَورَ بقدرَ قُربه فرأى في ذلك النُّورِ ما لم يَرَهُ البعيدُ والمَحْجُوبُ وصار قَلْبُهُ كالمرآة الصافية تبدو فيها صُوَرُ الحقائق على ما هي عليه فلا تكادُ تخطىءُ له فراسةٌ»(١).

٤- الفرقُ بين الفِراسة والإلهام

قال صاحبُ المنازل -رحمه الله- «الإلهامَ» هو مقامُ المُحَدَّثين. قال: هو فوق مقام الفراسة؛ لأن الفراسةَ ربما وقعت نادرة وأستصعَبْ على صاحبها وقتًا أو استعصت عليها، والإلهامُ لا يكون إلا في مقام عتيد»(٢).

قال ابنُ القيمِّ -رحمه الله: فانظر كيفَ تقترب الفِراسةُ من الإلهامِ إن لم تساوه فهي على أقلِّ تقديرِ مقامٌ من المقامات المعتبرة.

وقال -رحمه الله-: ومن العلماء من يجعلُ الفراسةَ صفةً لازمَةً لا تنفكُّ عن صاحبها وقتًا من الأوقات وهذا هو الصحيحُ سُئلَ الإمامُ الجنيدُ -رحمه الله- عن الفراسة فقال: هي مصادفة الإصابة، فقيل له: هي للمتفرِّس في وقت المصادفة أو على الأوقات؟ قال: لا بل على الأوقات؛ لأنها موهبَةٌ فهي معه كائنةٌ دائمةٌ»(٣).

وقصد الجنيدُ -رحمه الله- الفراسةَ الإيمانيَّةَ التي هي عطاءُ الله بخواصِّ عباده فإنه لما سُئلَ عن الفراسة فقال:

---

(١) انظر «نظرة النعيم» (٣/ ٨٢٦).

(٢) «منازلُ السائرين» (٣٩٦) للإمام الهرويِّ.

(٣) «التعرفُ لمذهب التصوف» (١/ ١٣٢).

«آياتٌ ربانيَّةٌ تظهرُ في أسرارِ العارفين فتنطقُ ألسنتُهم بذلك فتصادفُ الحقَّ»(١).

وأما جعلُهُ فوقَ مقامِ الفراسة: فقد احتجَّ عليه بأن الفراسةَ ربَّما وقعت نادرةً كما تقدَّمَ، والنادرُ لا حكمَ له. وربما استعصتْ على صاحبها واستصعب عليه فلم تطاوعْهُ. والإلهامُ لا يكون إلا في مقام عتيد، يعني في مقامِ القُربِ والحضور والتحقيقُ في هذا: أنَّ كُلَّ واحد من «الفراسة» و«الإلهام» ينقَسمُ إلى عامٍّ وخاصٍّ. وخاصُّ كل واحد منهما فوق عامِّ الآخرِ، وعامُّ كلِّ واحدٍ منهما قد يقعُ كثيرًا، وخاصةً وقد يقعُ نادرًا.

ولكنَّ الفرقَ الصحيحَ: أن الفراسةَ قد تتعلَّقُ بنوع كسبٍ وتحصيلٍ، وأما الإلهامُ فموهبةٌ مجردةٌ لا تُنالُ بكسبِ السبتَّةَ»(٢).

٥- الفرقُ بين تعبير الرؤيا وعلمِ الفِراسةِ

ما من شدٍّ أن علمَ الفراسةِ أصلٌ وعلمَ الرؤيا فرعٌ عنهُ قال الراغبُ -رحمه الله-:

«ومن الفراسةِ علمُ الرؤيا، وقد عظَّمَ اللهُ أمرَها في كُلِّ الكتُبِ المُنْزَلَة»(٣).

وفي شرحِ أقرب المسالك(٤) للشيخ الدَّرديري: «والعلمُ بتفسيرِ الرُّؤيا ليس من كَتُب، كما يقعُ للناس من التَّعبيرِ من ابن سيرينَ، فيحرمُ تفسيرُها بما فيه، بل يكونُ بفَهْمِ الأحوالِ والأوقاتِ وفِراسةٍ وعلمٍ بالمعاني».

وقال الشيخ الفوزان -حفظه الله-: «لا شكَّ أن الرُّؤيا منها ما هو حَقٌّ وهي من عجائبِ آياتِ الله -سبحانهُ وتعالى- وتأويلُ الرُّؤيا يعتمدُ على الفراسةِ والذَّكاءِ والنَّظَرِ في حالِ الرائي»(٥).

(١) «المرجع السابق (١٤/ ٨٩).
(٢) «مدارج السالكين» (١١٠-١١١).
(٣) «الذريعة إلى مكارم الشريعة» (ص١١٠).
(٤) «شرح أقرب المسالك» (٥/ ٢٨٥).
(٥) «المنتقى من فتاوى الفوزان» (٢/ ٣٠٥).

وأصابُ الفراسة هم الذينَ يلتمسونَ معانيَ الرُّؤى من واقع أصحابها، وصفاتهم، فإنَّهُ لا يُستبعَدُ أن تتشابَهَ الرؤى، وتختلفَ في معانيها كما يَدُلُّ عليه فقهُ السَّلَفِ الصَالِح -رضيَ الله عنهم-.

فهذا محمدَ بنُ سيرين إمامُ المعبِّرينَ -رحمه الله- يأتيه رَجلٌ فيسألُهُ عن رؤيا فيقولُ: «رأيتُ في النَّومِ كأني أُؤَذِّنُ، قال: تَحُجُّ هذا العامَ. وقال له آخر: رأيتُ في النوم كأني أُؤَذِّنُ، قال له: تُقْطَعُ يدُك في سَرِقَة.

ولما قيل له في التأويلين قال: رأيتُ على الأوَّل سيماءَ حسنةً، فتأوَّلْتُ قول الله: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧]. ولم أرْضَ هيئةَ الثَّاني فتأوَّلتُ قَوْلَ الله ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠][1] وقال القادريُّ -رحمه الله: «إنَّ رجلاً جاء إلى ابن سيرين -رحمهُ اللهُ- فقال له: رأيتُ شَعَرًا كثيرًا نابتًا في وجهي، فقال: الشَّعرُ مالٌ، وأنت تعملُ فيه عملاً مخالفًا، وجاءَهُ رجلٌ قد رأى نفسَ الرُّؤيا كذلكَ، فقال: أنْتَ رجلٌ عليكَ دَينٌ فاستعنْ بالله عليه»[2].

٦- الفرقُ بين الفِراسةَ والمُكَاشَفَةِ

المُكاشفَةُ عند الصوفيَّة تقومُ على الاتصال بالملأ الأعلى بلا حُجَّة ولا هُدى ولا كتاب منير.

والفراسة بهذا المعنى هي شيءٌ آخرُ غيرُ المكاشَفَة، فالفراسَةُ لا تقومُ على الاتصال بالملأ الأعلى، وليس فيها خَرقٌ للعادَة ولا قلبٌ لطبائع الأشياء، وإنما هي نوعٌ من الحَدْسِ الصائبِ الذي يَحْصُلُ للمؤمن بتوفيق الله -عزَّ وجَلَّ-

(١) ذكره ابن قتيبة في «عبارة الرُّؤيا» (ص: ١٣٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٦٢)، والخليل بن شاهين في «الإشارات» (٦٣٣)، والتويجري في «الرُّؤياه (١٦٨) وغيرهم.

(٢) «تعبير الرؤيا» للقادريِّ (١/ ١٩٤)، و«الإشارات» لابن شاهين (٨٧٢) و«تعطير الأنام» للنابلسي (٢٨٢)، و«منتخبُ الأحلام» المنسوب لابن سيرين -رحمه الله- وهو لأبي سعيد الواعظ على التحقيق (٩٩).

٧- الفرقُ بين الفِراسَةِ والغَيْبِ

ليسَت الفراسةُ من علمِ الغَيبِ بلْ عَلاَّمُ الغُيوبِ قذفَ الحقَّ في قلبِ قريبٍ مستبشرٍ بنورِه غيرِ مشغولٍ بنقوشِ الأباطيلِ، والخيالاتِ والوساوسِ التي تمنعُهُ من حصولِ صُوَرِ الحقائقِ فيه، وإذا غَلَبَ على القَلبِ النورُ فاضَ على الأركانِ، وبادرَ من القلبِ إلى العينِ فكَشَفَ بعينِ بصرِه بحَسْبِ ذلكَ النُّورِ»(١).

٨- الفرقُ بينَ الفِراسَةِ والحاسَّةِ السادسَة

الفراسَةُ كما سبقَ الاستدلالُ بالأحوالِ الظاهرةِ على الأحوالِ الخَفيَّةِ أما الحاسَّةُ السادسَةُ فهي إحساسٌ فطريٌّ لا أراديٌّ(٢) يمكِّن صاحبَها من توقُّعِ الأمورِ قبلَ أن تَقَعَ وهي توجَدُ عند الكثيرِ من النَّاسِ وخاصَّةً النساءُ ولكن بنسَبٍ متفاوتَةٍ مثالُ ذلكَ أمٌّ تجلسُ في بيتِها وفجأةً ينتابُها شعورٌ بأنَّ ابنَها قد أصابَهُ مكروهٌ، وبعدَ أنْ تفحصَ الموضوعَ تتأكَّدُ أنَّ إحساسَها صحيحٌ، مَعَ أنَّها قد تكونُ بينَها وبينَهَ أميالٌ.

ولا أدلَّ على ذلك منْ حادثِ ساريةَ الجبلِ الذي حَدَثَ مع عُمَرَ بنِ الخطَّابِ - رضي اللهُ عنه-، حينما كان يخطُبُ الجمعةَ، فإذا به ينادي بصوتٍ عالٍ: يا ساريةَ

---

(١) «الروحُ» لابن القيم» (٢١٥).

(٢) العلماءَ حتى اليوم لم يصلوا إلى اتفاقٍ علميٍّ بخصوصِ هذه الحاسَّةِ، فبينما قسمٌ كبيرٌ من العلماء يؤكِّدون على أنها موجودٌ لدى كلِّ إنسانٍ بنسَبٍ متفاوتَةٍ، وأنَّها المَصدرُ الأصليُّ لخواطرِ التفاؤلِ والتشاؤمِ التي تنتابُ معظمَ الناسِ إذ أن العَقلَ يمتصُّ وبطريقةٍ أوتوماتيكيةٍ الحقائقَ والمشاعرَ حتى ولو من تجاربِكَ وخبرتك العاديَّة.

ومن ناحيةٍ أخرى وحتى اليومِ لَم يَصلِ العلماءُ إلى تفسيرٍ علميٍّ واضحٍ إزاءَ هذه الحاسَّةِ ولاقَوْا صُعُوبةً بالغةً في تفسيرِها ومعرفَةِ مصدرِها.

والباحثون يؤكدون بأنَّ الناسَ البدائيِّين والأطفالَ والبلهاءَ لديهم الحاسَّةُ السادسَةُ أقوى من غيرهم من الناسِ، وعن طريقِ الحاسَّةِ السادسَةِ تتحقَّقُ تخميناتُ واستبصاراتُ الناسِ بشكلٍ أو بآخرَ.

الجبل[1]، حينما كان سعدُ بنُ أبي وقَّاص يغزو الفُرْسَ في موقعَة القادسيَّة، وأوشك العدوُّ يهجم على المسلمين في مكانٍ جبلي في غَفْلَة عن من في الجبل من المسلمين، فإذا بالمسلمين يسمعون صوتَهُ وينتبهون وينْتصرونَ بفضل الله.

فأنت تعلمُ أن عُمَرَ أحسَّ بالخَطَر المُحْدق بالمسلمين وبينهما آلافُ الأميال فصاحَ بأعلى صوته يا ساريَةَ الجبل فأكرمَهُ اللهُ -سبحانه وتعالى- بأنْ أسمعَ المسلمين هناكَ صوتَهُ!

٩- الفرقُ بين فِراسةِ المرأةِ والرَّجُلِ

هناك دراسةٌ تقولُ إنه لا يُوجَدُ فرقٌ، وهناك دراسةٌ تقولُ إن المرأةَ أفضلُ في قراءَة تعبيرات الوَجْه والحركات والإيماءات لارتباطها القويِّ مع أطفالها مُنْذُ ولادتهم وخلالَ تربيتهم فهي تتعوَّدُ على فَهْمِ ملامحِهِمْ وتعبيراتِهِمْ في الوقت الذي تتواصَلُ معهم لفظيًا وتعلِّمُهُم اللغة.

وهناك دراسةٌ حديثةٌ حولَ معرفَة الفروق في عمل دماغ الفتيان والفتيات دون الحاديةَ عشرةَ أظهرتْ أنَّ الفتيات في هذا السِّنِّ لهنَّ القدرةُ على قراءَة تعبيرات الوَجْه (فراسةُ تعبيرات الوَجْه) أكثرَ من الفتيان.

ولكنَّ الدراسة على حداثتها محصورةٌ على فئَة عمريَّة معيَّنَة وتعتبرُ ضعيفةً جدًا حيثُ أن مجتمعَ الدراسَة مكوَّنٌ من ١٧ ولدًا و١٨ بنتًا. كما أنها لم تخلُصْ إلى أنَّ هذه الفروقَ تستمرُّ مع تقدُّمِ العُمُرِ أم هي محصورةٌ في فترة ما قبلَ المراهقَة.

وهناك دراسةٌ تقولُ إن المرأةَ تَتَفَرَّسُ في أشياءَ وتغيبُ عنها أشياءُ وكذلك الرجُلُ.

لكن الواقعَ يشهدُ وكذلكَ التاريخُ بأن الرجالَ كانوا ولا زالوا الأفضلَ كالأنبياء والرسلِ والصحابَة والتابعين وأهلِ القضاء والطبِّ وأهلِ الفقْه والحديث...

(١) (حسن) رواه ابن خلاد في «الفوائد» (١/ ٢١٥)، والبيهقيُّ في الدلائل» (٢/ ٢٨١) وابنُ كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ١٣١) وقال إسنادُهُ جيِّدٌ حسنٌ ووقَّعَهُ الألبانيُّ في «الصحيحَة» (١١١٠).

أسبابُ الفراسَةِ

ذكر ابنُ القيِّم -رحمهُ الله- أنَّ للفراسَةِ سببَينَ

أحدَهُما: جودةُ ذهنِ المتفرِّسِ، وحدَّةُ قلبِه، وحسنُ فطنته.

والثاني: ظهورُ العلاماتِ والأدلَّةِ على المُتَفَرَّسِ فيه، فإذا اجتمعَ السببانِ لم تكدْ تخطىءُ للعبدِ فراسةً، وإذا انتفيا لم تكدْ تَصِحُّ له فراسةٌ، وإذا قَوِيَ أحدَهما وضَعُفَ الآخرُ كانت فراستُهُ بينَ بينَ[1].

●●●

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٦٧-٣٦٨).

كيفيَّةُ التَّفرُّسِ

المُتَفرِّسُ إذا أرادَ ممارسةَ الفراسة فيمَنْ يخاطبُهُ، فلابُدَّ أن يستعين بأعضائه، فينظرَ إلى أفعاله جَيِّدًا، ويُصْغِيَ إلى كلامه بدقَّة، ويمرِّرَ كُلَّ هذا على قلبه فيجيزُ ويمنعُ حسْبَ قوةِ إدراكه(١).

قال ابنُ القيم -رحمه الله-: «وفراسةُ المتفرِّس تتعلَّقُ بثلاثَة أشياءَ: بعينه، وأذُنه، وقَلْبه، فعينَهُ للسيماء والعلامات. وأُذُنُهُ للكلام وتصريحه وتعريضه، ومنطوقه ومفهومه، وفحواهُ وإشارته، ولحنه وإيمائه ونحو ذلكَ.

وقلبُه للعبور والاستدلال من المنظور والمسموع إلى باطنه وخَفيِّه، فَيَعْبُرُ إلى ما وراءَ ظاهره، كعبور النُّقَّاد من ظاهر النقْش والسِّكَّة إلى باطن النقْد والإطلاع عليه هَلْ هو صحيحٌ، أو زَعلٌ؟

وكذلك عبورُ المتفرِّس من ظاهر الهيئة والدَّلِّ، إلى باطن الروح والقلب؛ فنسبةُ نقده للأرواح من الأشباح كنسبة نقدُ الصيرفي ينظرُ للجوهَر من ظاهر السكَّة والنَّقْد، وكذلك نقدُ أهلِ الحديث، فإنَّهُ يمرُّ إسنادٌ ظاهرٌ كالشَّمس على متنٍ مكذوبٍ، فيخرجُهُ ناقدهم، كما يخرج الصيرافي الزغل من تحت الظاهر من الفضة.

وكذلك فراسةُ التمييز بين الصادق والكاذب في أقواله، وأفعاله وأحواله»(٢).

●●●

(١) انظر «الفراسةُ في القرآن الكريم» أ. د. عبد الشافي الشيخ (٣٦).
(٢) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦٧).

الفِراسةُ الإيمانيَّةُ

الفراسةُ الإيمانيَّة لا تكونُ إلا لَمَنْ صنعَتْ نفسُهُ وحَسُن تأدُّبُها مع الله، وغالبًا لا يكونُ للعَبْد جهدٌ فيها إلا أنَّهُ ارتقى في خُلُقه حتى اصطفاهُ اللهُ فوهبهُ من لَدُنْهُ هذا الفَضْل[١].

وهذه الفراسةُ على حَسْب قوة الإيمان، فمَنْ كانَ إيمانُهُ أقوى إيمانًا فهو أحدُّ فِراسةً، قاله ابنُ القيم -رحمه الله-[٢].

ولها أسبابٌ وموانعِ وفيما يأتي نذكرُ طرفًا من ذلك.

الأسبابُ المعينةُ على اكتسابِ الفِراسَةِ الإيمانيَّةِ:

١- الإيمانُ بالله

الإيمانُ بالله من أعظمِ أسباب الحصول على الفراسَة الإيمانيَّة ومعناهُ الاعتقادُ الجازمُ بأنَّ اللهَ ربُّ كُلِّ شيء ومليكُهُ وخالقُهُ، وأنَّهُ الذي يستحقُّ وحدَهُ أنْ يُفرد بالعبادَة من صلاة وصوم، ودعاء، ورجاء، وخَوْف، وذُلٍّ، وخضوعٍ، وأنَّهُ المتَّصفُ بصفات الكمال كُلِّها المنَزَّهُ عن كلِّ نَقْص.

ويتضمَّنُ ذلك توحيدَهُ في ثلاثة:

في ربُوبيَّته، وفي ألُوهيَّته، وفي أسمائه وصفاته ومعنى توحيده في هذه الأمور اعتقادُ تَفَرُّده سبحانَهُ بالربوبيَّة، والألوهيَّة، وصفات الكمال، وأسماء الجلال فلا

(١) «الفراسةُ في القرآن الكريم» (٣١).
(٢) «معَارجُ السالكين» (٣/ ٣٦٠).

يكونُ العبدُ مؤمنًا بالله حتَّى يَعتقِد أن اللهَ ربُّ كلِّ شيء، ولا رَبَّ غيرُهُ وإلهُ كلِّ شيءٍ ولا إلهَ غيرُهُ، وأنَّهُ الكاملُ في صفاته، وأسمائه ولا كاملَ غيرُهُ[١].

٢- الإخلاصُ

الإخلاصُ من أعظمِ الأسبابِ المُعينَةِ على حصولِ الفِراسَةِ الإيمانيَّةِ بلْ هو أعظمُ أسبابها.

وعرَّفَ بعضُ العلماءِ الإخلاصَ فَقال: «الإخلاصُ: ألا تطلبَ لعملكَ شاهدًا غيرَ الله- تعالى»[٢].

ومنهم من قال: «الإخلاصُ هو تصفيَةُ العملِ المصالحِ النيَّةِ عن جميع شوائبِ الشِّرْك»[٣].

ومنزلةُ الإخلاصِ من الدينِ منزلةُ الرُّوحِ من الجَسدِ فعبادةٌ بلا إخلاصٍ جسدٌ بلا روحٍ.

والله -سبحانَهُ وتعالى- يقولُ: ﴿**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ [الزمر: ٢، ٣].

قال ابنُ العربيِّ: - رحمه الله-: «أمَرَ اللهُ عبادَهُ بعبادته، وهو أداءُ الطاعَةِ له بصفة القُربَة، وذلك بإخلاصِ النيَّةِ بتجريدِ العملِ عن كُلِّ شيءٍ إلا لوَجْهِه وذلك هو الإخلاصُ»[٤].

وقال سبحانه: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**﴾ [البينة: ٥].

(١) انظر: «الإيمان» لمحمد نعيم ياسين (٦).
(٢) «التعريفات» (١٣-١٤).
(٣) «معارج القبول» للحكمي (١/ ٣٨٢).
(٤) «أحكام القرآن» (٤/ ٤٣٧).

قال ابن سعدي -رحمه الله-: «فأخبرَ أن صلاحَ الأعمالِ وفسادَها بالنيَّاتِ وأنه يَحصُلُ للعبدِ من الثمراتِ والنتائجِ بحَسْبِ نيته»(١).

وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

قال ابن القيم -رحمه الله-: «وهي الأعمالُ التي كانت على غيرِ السنَّة، أو أُريدَ بها غيرُ وجهِ الله»(٢).

ويقول رسولُ الله -ﷺ- «إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ، وإنما لكُلِّ امرىءٍ ما نَوى»(٣).

وعن أبي هريرةَ -رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسولَ الله -ﷺ- يقول: قال الله تعالى- أنا أغنى الشركاءِ عن الشِّرْكِ من عَمِلَ عملاً أشركَ معي فيه غيري تركتُهُ وشركَهُ»(٤).

وعن أبي أسامةَ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إن اللهَ لا يقبلُ من العملِ إلا ما كان خالصًا وابْتُغِيَ بذلك وَجْهُهُ»(٥).

وعليه فمتى تخلَّصُ القلب من كل شوب يكَّدرُ صفاءَهُ أتَتْهُ الفراسَةُ تطلبُهُ كما يطلُبُ السيلُ الحدورة؛ لأنَّه من صفا صُفِّي له، ومن كدر كَدِّر عليه كما قال الدراني -رحمه الله-(٦)

٣- تقوى الله

تقوى الله -سبحانه وتعالى- فى أعظم الأسبابِ المعينَة على اكتسابِ الفراسَةِ الإيمانية.

---

(١) «الرياض الناظرة» (٢٢١).
(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢١١).
(٣) رواه «البخاري» (٥٤)، ومسلم (١٩٠٧).
(٤) رواه «مسلم» (٢٩٨٥).
(٥) (حسن) رواه النسائي (٦/ ٢٥)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «الصحيحة» (٢٥).
(٦) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٨١). من قول مالك بن دينار.

قال ابن عثيمين -رحمه الله-: «فالتقوى سببٌ لزيادة الفَهْمِ ويَدْخُلُ في ذلك -أيضًا- الفراسةُ أنَّ الله يعطي المُتقي فراسةً يُميز بها حتى بين الناس، فبمجرَّد ما يرى الإنسانَ يَعْرف أنَّه كاذبٌ أو صادقٌ أو برٌّ أو فاجرٌ حتَّى أنَّهُ ربَّما يحكُمُ على الشخصِ وهو لم يُعَاشِرْهُ ولم يَعْرِفْ عنه شيئًا بسببِ ما أعطاهُ اللهُ من الفراسة»(١).

إذَا المرءُ لَمْ يَلبس ثيَابًا منَ التُّقَى ... تَقَلَّبَ(٢) عُرْيَانًا وإنْ كان كاسيًا

وخَيْرُ خِصَالِ المرءِ طاعَةُ رَبِّه ... ولا خَيْرَ فيمَنْ كان لله عاصيًا(٣)

٤- طهارةُ القلبِ من الشَّهَوات والشُّبُهات

طهارة القلب من أدران الشَّهَوات والشُّبُهات من أسباب الفراسة الإيمانيَّة وقد صارَ الكلامُ في طَهارة القلب عزيزًا وغريبًا. كما قال ابنُ القيم: «وأغربُ منهُ من يَعرفُهُ، وأغربُ منه من يدعو إليه ويَنصَحُ به نَفْسَهُ والنَّاسَ»(٤).

فالقلب موضع نظر الله -سبحانَهُ وتعالى- لحديث أبي هريرةَ -رضيَ اللهُ عنهُ- قالَ: قالَ رسولُ الله -ﷺ-: «إنَّ اللهَ لا ينظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وأموالِكُمْ، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبكم وأعمالكُمْ»(٥).

فما دامَ القلبُ كذلكَ فعلى العبد أن يُطَهِّرَهُ من الأدران والأوساخ ويزينَهُ بالتوبة، والإنابَة ويطهَرهُ من كلِّ ما يكْرَهُهُ اللهُ.

فاللهُ -سبحانُه وتعالى- يقول: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥١] فعلينا أن نُصْلِحَ قلوبنا لتصلح بصَلاحها أحوالُنا فالقلبُ مخصوصٌ بأشرف العطايا من الإيمان وتوابعه ومن ذلك الفراسةُ.

(١) فتاوى ابن عثمين (٢٦/ ٧٨)، وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/ ٧٣).
(٢) تقلب: تجرَّدَ. (٣) «لطائف المعارف» (٢١٦).
(٤) «أعلام الموقعين» (٤/ ٢١٨). (٥) رواه «مسلم» (٢٥٦٤).

فعن النُّعمان بن بشْر -رضي الله عنه- قال: قال رسول اله- ﷺ-: «... ألا وإنَّ في الجسد مضغةً إذا صَلُحَتْ صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّه وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسدُ ككلُّهُ ألا وهي القلبُ»(١).

والقلبُ عرضةٌ للفتَنِ ولابُدَّ.

فعن حذيفةَ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله- ﷺ-: «تُعْرضُ الفتن على القلوب كَعَرْضِ الحَصيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قلب أُشربَهَا نُكتَ فيه نُكْتَةٌ سوداءُ، وأيُّ قلب أَنْكَرَها نُكتَ فيه نُكتةٌ بيضاءُ حتى تعودَ القلوبُ على قلبين: قلب أسودَ مُرْبَادًّا كالكوزِ مجْخيًّا لا يعرفُ معروفًا ولا ينكرُ منكرًا إلا ما أُشْرِبَ من هواهُ، وقلب أبيضَ، فلا تضُرُّهُ فتْنَةٌ ما دامت السمواتُ، والأرضُ»(٢).

والفتَنُ التى تُعْرضُ على القلوب هي فتَنُ الشَّهَوات وفتَنُ الشُّبُهات فتنُ المعاصي والبدَعِ هذا أصْلُ داء الخَلْق إلا مَن عافاه اللهُ»(٣) ففتنة الشُّبُهات: إما باعتقاد خلاف الحَقِّ الذي أَرْسَلَ اللهُ به رسولَهُ -ﷺ- وأنزلَ به كتابَهُ كالذي ينفي عُلُوَّ الله على العَرْش(٤) وأما بالتَّعبُّد بما لم يأذَنْ به اللهُ وهي البدعُ على اختلاف أنواعها(٥) وأما فتنةُ الشَّهوات: «أن يُحبَّ الشَّهَوات المحرَّمَةَ مثلَ: الزِّنا، والسَّرقَة، وشُرْب الخَمْر، والغيبة، والنَّميمَة، ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

---

(١) قطعة من حديث رواه «البخاري» (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) رواه مسلم (١٤٤).

(٣) «مفتاح دار السعادة» (١٧٧-١٧٨).

(٤) فمَنْ نفى حقيقةَ (الاستواء) فهو مُعَطِّلٌ، ومن شبَّهَهُ بأستواء المخلوق على الخالق فهو مُمَثِّلٌ، ومن قال استواءٌ ليس كمثله شيءٌ فهو المُوَحِّدُ المنَزِّهُ.

(٥) انظر: «صلاح القلوب» لعبد الهادي وهبي (١٠) فقد استفدتُ منه في هذا البحث كثيراً.

أيْ مرضىُ الشَّهَوَات والعياذُ بالله»[١] فهذا ما كان يخْشاهُ النبيُّ -ﷺ- على أمَّته.

فعن أبي بَرْزَةَ الأسلميِّ -رضي اللهُ عنه- عن النَّبيِّ -ﷺ- قال: «إنَّ ممَّا أخشى عليكم: شهوةَ الغَيِّ في بُطُونِكُمْ، وفروجِكُمْ ومُضلاَّت الهوى»[٢].

فإتِّباعُ الشَّهَوات هو داءُ العُصاة.

وإتِّباعُ الشُّبُهات: وهو داءُ المبتدعَة، وأهلِ الأهواء والخصومات، وكثيرًا ما يجتمعان فقلَّ من تجدُه فاسدَ الاعتقاد إلا وفسادُ اعتقاده يظهرُ في عمله[٣].

وهذا من هما أصلُ شرٍّ وفتنة وبلاء، وبهما كُذِّبَت الرُّسُلُ، وعُصيَ الرَّبُّ، ودُخلَت النَّارُ، وحَلَّت العُقُوبَةُ[٤].

ولما كان الأمرُ بهذه الخُطورة «كان الاهتمامُ بتصحيحه وتسديده أولى ما اعتمدُ السَّالكون، والنظرُ في أمراضه وعلاجه أهمَّ ما تنسَّكَ به النَّاسكون[٥].

وعافيتُها تثمرُ الفراسَةَ الإيمانيَّةَ والسعادةَ الأبديَّةَ فمَنْ صَلُحَ باطنُهُ أصْلحَ اللهُ له الأحوال، وسدَّدَهُ في الأقوال والأفعال[٦] وجادَتْهُ الفراسةُ من كُلِّ ناحية.

٥- تفريغ القلبِ من همومِ الدُّنيا

تفريغُ القلب من همومِ الدُّنيا من أعظمِ أسبابِ الحصول على الفراسَة فمَنْ خلا قلبُهُ من التِّيه في أوديَة الدنيا وشعابها وصفا لخالقه ورازقه صُفِّي له، ومن كَدَّر كُدِّر عليه.

---

(١) «دروس من القرآن الكريم للفوزان.

(٢) (صحيح) رواه أحمد (٤/ ٤٢٠) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٥٢).

(٣) «أعلام الموقعين» (١/ ١٨٥).

(٤) «المرجع السابق» (١/ ١٨٤).

(٥) «موارد الظمأن» (٣١).

(٦) المجموعة الكاملة لابن سعدي (٦/ ١١٦).

فـ«الدنيا قد كُفيتَها وإن لم تَطْلُبْها والآخرةُ والآخرةُ بالطلب منك تنالُها» كما قال يحيي بنُ معاذ -رحمه الله- فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ -ﷺ- قال: «إنَّ اللهَ- تعالى- يقولُ: يابْنَ آدمَ تفرَّغْ لعبادتي أمْلأْ صَدْرَكَ غِنىً وأَسدُّ فقرك، وإلا تفعلْ ملأتُ يديك شُغْلاً ولم أَسُدَّ فقرَكَ»(١).

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنهُ- قال: قالَ رسول الله -ﷺ: «من كانت الآخرةُ همَّهُ جعلَ اللهُ غناهُ في قلبه وجمعَ له شملَهُ وأتَتْهُ الدنيا وهي راغمةٌ، ومن كانت الدنيا همَّهُ جعلَ اللهُ فقرَهُ بَيْنَ عينيه وفرَّقَ عليه شملَهُ ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّرَ لهُ»(٢).

فيا أخي الدنيا أقلُّ من أنْ تستولي على قلبكَ وتستأثرَ بهمِّكَ متى كانتْ غيرَ مضمونَة؛ لأنَّ اللهَ حقَّرَها في كتابه وعلى لسان نبيِّه -ﷺ- فكيفَ وهي مضمونَةٌ، ولا أعني بقولي هذا ترك العمل ولكن المَرَاحَ الهمِّ كما قيل:

اطرحِ الدنيا؛ فمنْ عاداتها ... تخْفضُ العالي وتُعْلي من سَفَلْ

عيشَةُ الراغبِ في تَحْصيلِها ... عيشَةُ الجاهلِ فيها أو أقَلُّ

كَمْ جَهولٍ باتَ فيها مكثِراً ... وعليمٍ باتَ منها في عِلَلْ

كم شُجاعٍ لم ينلْ فيها المُنَى ... وجبانٍ نالَ غاياتِ الأَمَلْ(٣)

---

(١) (صحيح) «أخرجه أحمد» (٢/ ٣٥٨)، و«الترمذي» (٣/ ٣٠٨)، وابن ماجه (٢/ ٥٢٥)، وابن حبان (٢٤٧٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٥٩)، و«صحيح الجامع» (١٩١٤).

(٢) (صحيح) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٥٢٤-٥٢٥)، وابن حبان (٧٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٥٠)، و«صحيح الجامع» (٦٥١٠).

(٣) انظر «كتابي» منتقى الأشعار» (١/ ١٦).

٦- اجتنابُ المعاصي

اجتنابُ المعاصي صغائرها وكبائرها سببٌ عظيمٌ في حصول الفراسَة الصَّادقَة وذلكَ؛ لأنَّ الفراسَةَ نورٌ والمعاصي ظلمةٌ تَحُولُ دونَ رؤية النُّور وذلك من عُقوبَة المعاصي.

قال ابنُ القَيمِ -رحمه الله- ومن عُقوباتها- أي المعاصي- أنها تُعْمي بصيرةَ القلب، وتطمسُ نورَهُ، وتسدُّ طريقَ العلم، وتَحْجبُ مواردَ الهدايَة.

وقَدْ قال مالكُ للشافعيِّ لما اجتمعَ به ورأى تلكَ المخايلَ: إني أرى اللهَ -تعالى- قد ألقى عليكَ نورًا، فلا تطفئْهُ بظلمَة المعَصيَة ولا يزالُ هذا النورُ يَضْعُفُ ويضْمَحلُّ، وظلام المعْصيَة يقوى حتى يصيرَ القلبُ في مثل الليل البَهيم، فكم من مُهْلك يَسْقُطُ فيه وهو لا يُبْصرُهُ، كأعمى خرجَ بالليل في طريق ذات مهالك ومعاطب، فياعزَّةَ السلامَة، ويا سُرعَةَ العَطَب، ثم تقوى تلك الظلماتُ، وتفيضُ من القلبِ إلى الجوارح، فيغشى القلبَ منها سوادٌ بَحَسْب قوَّتها وتزايُدها، فإذا كان عندَ الموت ظهرتُ في البرْزَخ، فامتلأ القَبْرُ ظلمةً.

كما قالَ النبيُّ -ﷺ-: «إن هذه القبورَ مُمْتلَئةٌ على أهلها ظلمةً، وإنَّ اللهَ مُنَوِّرُها بصَلاتي عليهم»(١).

فإذا كان يومُ المعاد وحُشرَ العبادُ، عَلَت الوُجوهُ علوًا ظاهرًا يراهُ كلُّ أحَد، حتَّى يصيرَ الوجْهُ أسودَ مثل الحممة، فيالها من عقوبة لا تُوازَنُ لذات الدنيا بأجمعها من أولها إلى آخرها، فكيفَ بقُسْطِ العبد المُنَغَّص المُنكَّد المُتْعَب في زمنٍ، إنما هو ساعةٌ من حُلُمٍ فاللهُ المستعانُ(٢).

(١) رواه البخاري (٤٥٨)، ، ومسلم (٩٥٦) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.
(٢) «الجواب الكافي» (١١٠-١١١).

قلتُ مَنْ أظلمَ قلبُهُ بالعاصي فحظُّهُ من الفراسَة ظَنٌّ وتخمينٌ دونَ أدنى درجة من الجَزْمِ واليقين ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

٧- مخالفةُ الهوى

مخالفةُ الهوى من أعظمِ أسبابِ الفراسَة الإيمانيَّة والهوى وهو ميلُ النَّفسِ إلى الشَّهوة»[١] والانقيادُ لها فيما تدعو إليه من معاصي الله»[٢].

ومتى أنقادَ المرءُ لشهوته عدَّ نفسَهُ في مصافِّ الحيوانات، وجلبَ لها الخزيَ والعارَ.

قال الجاحظُ: «إذا تمكَّنَت الشَّهوةُ من الإنسان، ومَلَكَتْهُ، وانقادَ لها كان كالبهائمِ أشْبَهُ منه بالناس؛ لأنَّ أغراضَهُ ومطلوباته وهمَّتَهُ تصيرُ أبدًا مصروفةً إلى الشَّهَوات واللَّذات فَقَطْ»[٣].

إذا ما رأيتَ المرءَ يقتادُهُ الهوى ... فقد تكلَتْهُ عند ذاك ثواكلُهْ

وقد أشَمتَ الأعداءَ جهلاً بنفسه ... وقد وجَدَتْ فيه مقالاً عواذلُهْ

وما يَرْوَعُ النَفْسَ اللَّجوعَ عن الهوى ... من الناسِ إلا حازمُ الرَّأي كاملُهْ

والهوى بابٌ عظيمٌ من أبواب الضَّلال، ومرتَعٌ وخيمٌ في ظلمات الفتَن قال اللهُ -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

والضَّلالُ كُلُّ الضَّلال أن يجعلَ العبدُ إلهَهُ هداهُ.

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ

(١) «المفردات» (٥٤٨).

(٢) «نظرة النعيم» (٩/ ٣٧٥٢).

(٣) «تهذيب الأخلاق» للجاحظ (١٥).

وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[الجاثية: ٢٣].

قال قَتادةُ -رحمه الله-: «إن الرجل إذا كان كُلَّما هوى شيئًا رَكِبَهُ، وكلَّما اشتهى شيئًا أتاه لا يَحْجُرُهُ وَرَعٌ ولا تقوى، فقد اتَّخَذَ إلهَهُ هواهُ».

والهوى خافَهُ النبيُّ -ﷺ- على أُمَّته من بعده فقال: «إنَّ مما أخشى عليكم بعدي بُطُونَكم، وفُروجَكم، ومُضلاَّت الأَهْواءِ»(١).

ومخالفَةُ الهوى سهلٌ يسيرٌ على من يَسَّرَ الله عليه وذلك بإتِّباعِ الشُّروطِ الآتيَة:

١- التفكرُ في عواقبِ الهوى فكم فَوَّتَ من فضيلة، وكم قد أوقعَ من رذيلة، وكم من زَلَّة أوجبت انْكسارَ جاهٍ وقُبْحَ ذِكْرٍ مع إثمٍ. غيرَ أنَّ صاحبَ الهوى لا يرى إلا الهوى.

٢- الانقطاعُ عن مصاحبةِ أهلِ الأهواءِ ومصاحبَةُ أهلِ الصَّلاحِ.

٣- التعَّرفُ على الله حَقَّ المعرفَةِ بأسمائه وصفاته -عزَّ وجَلَّ-.

٤- الوقوفُ على سيَرِ أصحابِ الأهواءِ وعاقبتهمْ.

٥- التعرُّفُ على سيَرِ من عُرفوا بمُجاهَدَةِ النَّفسِ والهوى مثْلِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، والحَسَنِ البَصريِّ، ومحمدِ بن سيرينَ، والفُضَيلِ بنِ عياضٍ، وعبدِ الله بنِ المباركِ، وغيرُهم كثيرٌ.

٦- التحذيرُ من الرُّكُونِ إلى الدنيا والاطمئنانِ بها.

٧- الإستعانَةُ بالله والالتجاءُ إليه سبحانه.

---

(١) صحيح) السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٢) وصححه الألباني في «ظلال الجنة (١/ ٧) من حديث أبي برزه الأسلمي -رضى الله عنه-.

٨- مجاهَدةُ النَّفسِ وحَملُها على التخلُّصِ من أهوائها وشهواتها.

٩- تَذكُّرُ أنَّ السعادةَ والفلاحَ، والفوزَ في أتباعِ الشَّرعِ.

١٠- التفكُّرُ في أنَّ الإنسانَ لم يُخلَقْ للهوى وإنما هُيِّيءَ للنُّظرِ في العواقبِ والعَمَلِ للآجلِ.

١١- تَصَوُّرُ العاقلِ انقضاءَ غَرَضِه من هواهُ ثُمَّ يتصوَّرُ مدى الأذى الذي يَحْصُلُ لهُ عَقِبَ اللَّذَّةِ.

١٢- التَّدبُّرُ في ما يَحْصُلُ له من عزِّ الغَلَبَةِ إن مَلَكَ نفْسَهُ وذُلِّ القهرِ إن غلبَتْهُ نفسُهُ.

١٣- التفكُّرُ في ما في مخالفَةِ الهوى من اكتسابِ الذِّكرِ الجميلِ في الدنيا وسلامَةِ النفسِ والعِرْضِ والأجْرِ في الآخرةِ ثم يعكسُ ويتفكَّرُ لو وافَقَ هواهُ في حصولِ عكْسِ ذلكَ إلى الأبَدِ مَنْ كان يكونُ يوسفُ لو نَالَ تلك اللذَّة؟

فلمَّا تركها وصَبَرَ عنها بمجاهَدَةِ ساعَةٍ، صارَ مَنْ قد عرفْتَ»[1].

٨- التقرُّبُ إلى الله بالنَّوافلِ

ما أجملَ أن يتقَّربَ العبدُ إلى الله بغَيرِ ما افترضَهُ عليه[2] فالنوافلُ مُوصلَةٌ إلى محبَّةِ الله ونيلِ رضاهُ ومَنْ كانَ هذا حالُهُ كيفَ لا يُبْصِرُ بعينِ قلبِه المُشْرِقِ بنورِ الله- جلَّ جلالُهُ-.

قال ابنُ القيمِ -رحمه الله-:

«إن القلبَ إذا قَرُبَ من الله انقطعتْ عنه معارضاتُ السُّوءِ المانعَةُ من معرفَةِ الحقِّ وإدراكِه، وكان تلقِّيه من مشكاةٍ قريبةٍ من الله بَحَسْبِ قُرْبِه منه، وأضاءَ له النُّورُ بقَدْرِ

(١) ذم الهوى لابن الجوزي (١٤-١٥) بتصرف!

(٢) قال الحافظُ في «الفتح» (١١/ ٣٥١): «جرت العادةُ أنَّ التقرُّبَ يكُونُ غالبًا بغير ما وَجَبَ عليه المتقرَّبُ، كالهديَّةِ، والتُّحْفَةِ، بخلافِ من يؤدِّي ما عليه من خراجٍ أو يقضي ما عليه من دين».

مُرْ به، فرأى في ذل النُّور ما لمْ يَرَهُ البعيدُ والمحجوبُ، كما ثَبَتَ في «الصَّحيح»[١] من حديث أبي هريرةَ -رضي الله عنه- عن النبيِّ -ﷺ- فيما يرويه عن ربِّه -عزَّ وجلَّ- أنه قال: «ما تقرَّب إليَّ عبدي بمثْل ما افترضْتُ عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أُحبَّهُ فإذا أحببْتُهُ كنتَ سَمْعَهُ[٢] الذي يسمعُ به، وبصرَهُ الذي يُبْصر به[٣] ويَدَهُ التي يَبْطش بها[٤]، ورجلَهُ التي يمشي بها[٥]، فبي يسمَعُ، وبي يبصرُ، وبي يَبْطش، وبي يمشي» فأخبر سبحانه -أنَّ تقرَّبَ عبده منهُ يفيدُ محبَّتَهُ لَهُ، فإذا أحبَّه قَرُبَ من سمعه وبصره ويده ورجله فسمعَ به، وأبصرَ به، وبَطشَ به، ومشى به.

فصارُ قلبُهُ كالمرْآة الصَّافيَة تبدو فيها صُوَرُ الحقائق على ما هي عليه، فلا تكادُ تُخْطىءُ له فراسَةٌ، فإنَّ العبدَ إذا أبْصَر بالله، أبصرَ الأمرَ على ما هو عليه، فإذا سمعَ بالله سمعَهُ على ما هو عليه، وليس هذا من علْم الغَيب، بل علاَّمُ الغيوب قذفَ الحقَّ في قلب قريب مستبشر بنوره غير مشغول بنُقوش الأباطيل والخيالات والوسواس، التي تمنعُهُ من حصول صُوَرَ الحقائق فيه، وإذا غَلَبَ على القلب النُّورُ، فاضَ على الأركان، وبادرَ من القلب إلى العين. فكشفَ بعين بصره بحَسْب ذلكَ النُّور»[٦].

٩- الإكثارُ من ذكر الله

الإكثارُ من ذكر الله من أعظم أسباب حُصول الفراسَة الإيمانيَّة لأنَّهُ يصقُلُ القلبَ، ويزيلُ عنهَ الغشاوةَ كما تنقَشعُ به الظُّلماتُ عن الأبصار فيرى بنور الله!

---

(١) رواه «البخاري» (٦٥٠٢).

(٢) «كنتُ سمعه» أي: سَدَدْتُهُ في كُلِّ ما يسمع، فلا يسمع إلا ما فيه الخير.

(٣) «وبصره الذي يبصر به» أي: فيما يرى، فلا يرى إلا ما فيه الخير.

(٤) «ويده التي يبطش بها» أي: سدَّدْتُه في بطشه وعمله بيده، فلا يعملُ إلا ما فيه الخير. ص

(٥) ورجله التي يمشي بها» أي سدَّدْتُهُ في مَشْيه) فَلا يَمْشَي إلاَّ إلى الخير.

(٦) «الروح» (٢٣٨).

والذكرُ مفتاحٌ لكلِّ خيرٍ ينالُهُ العبدُ في الدنيا والآخرة فمتى أعطى اللهُ العبدَ هذا المفتاحَ فقد أرادَ أن يفتحَ، لَهُ، ومتى أضَلَّهُ بَقِيَ بابُ الخير مُرْتجًا عليه!

بل الذكر كما يقولُ ابنُ القيم: «منشورُ الولايَة، من أُعْطِيَهُ اتَّصَلَ ومن مُنِعَهُ عُزِلَ»(١).

والله -سبحانه وتعالى- فتحَ هذا البابَ بينَهُ وبين عبده ما لم يُغْلقْهُ العبدُ بغَفْلَته بلْ إنَّه -سبحانه وتعالى- أمرَ بذكره فقال جلَّ جلالُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

وواعدَ سبحانه الذاكرين الله كثيراً بالمغفرة والأجر العظيم فقال: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وحَثَّ النبيُّ -ﷺ- على الإكثار من ذكر الله ورغَّبَ فيه فعن أبي مرسى الأشعريِّ -رضي الله عنه- قال: قالَ رسولُ الله -ﷺ: «مَثَلُ الذي يذكُرُ ربَّهُ مثلُ الحيِّ والميِّت»(٢) وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «كان رسول الله -ﷺ- يسيرُ في طريقِ مكةَ فمرَّ على جبلٍ يُقال لهُ جمدانُ فقال: سيروا هذا جمدانُ، سَبَقَ المُفَرِّدونَ. قالوا: وما المفَرِّدُونَ يا رسولَ الله؟

قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»(٣).

وعن عبد الله بن بسر -رضي الله عنه- «أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن شرائعَ الإسلامِ قد كَثُرَتْ عليَّ، فأخْبِرْني بشيءٍ أتشبَّثُ به. قال: لا يزالُ لسانُكَ رَطْبًا من ذكرِ الله»(٤).

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٤).

(٢) «رواه البخاري» (٦٤٠٧) واللفظ له، «مسلم» (٧٧٩).

(٣) رواه «مسلم» (٢٦٧٦).

(٤) (صحيح) رواه «الترمذي» (٣٣٧٥) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٠٠).

١٠- الأخلاقُ الحَسَنَةُ

التَّخلُّقُ بالأخلاق الحسنَة في الظاهر الباطن من أسباب اكتساب الفراسة الإيمانيَّة؛ وذلك لأنَّ الأخلاقَ الحسنَةَ عبادةٌ عظيمةٌ ينالُ بها العبدُ رفيعَ الدَّرجات.

فعن عائشةَ -رضي الله عنها- قالتْ: قال رسولُ الله -ﷺ-: «إن العبدَ ليبلغُ بُحسْنِ خُلُقِه درجةَ الصائمِ القائمِ»(١).

وحَسْبُكَ أن الأخلاقَ الحسنةَ أثقلُ شيءٍ في ميزان العبد يومَ القيامة وبه يحصلُ القُرْبُ من رسول الله -ﷺ- فعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «ما من شيءٍ أثقلُ في ميزانِ العبدِ يومَ القيامَةِ من حُسْنِ الخُلُقِ»(٢).

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إن من أحبِّكم إليَّ وأقربِكم مني مجلسًا يومَ القيامَةِ أحاسِنَكُمْ أخلاقًا»(٣).

وصاحبُ الأخلاق الحسنة خيرُ الناس لحديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال لم يكنْ رسولُ الله -ﷺ- فاحشًا، ولا متفحِّشًا، وكان يقول: «خيارُكم أحاسِنُكُمْ أخلاقًا»(٤).

١١- الصِّدْقُ

الصدقُ من أعظمِ أسبابِ حصولِ الفراسةِ لأن الكاذبَ لديه غشاوةٌ في القلبِ وظلماتٌ في البَصَرِ.

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود (٤٧٩٨)، وصحَّحَهُ الألباني في «الصحيحة» (٧٩٥).

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٦-٤٤٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٧٦).

(٣) (حسن) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٣-١٩٤)، وابن حبان (٤٨٢)، حديث أبي ثعلبةَ الخشني والترمذي (٢٠١٨) عن جابر والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١/ ٣٤) عن جابر -أيضًا- واللفظ له، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٧٩١).

(٤) أخرجه «البخاري» (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

والصدقُ هو المميِّزُ بين المؤمنِ والمنافقِ.

فعن أبي هريرةَ -رضي الله عنه- عن النبيِّ -ﷺ- قال: «آية المنافقِ ثلاثٌ: إذا حدَّث كذبَ، وإذا وَعَدَ أخلفَ، وإذا اؤتمِنَ خانَ»(١).

والصدقُ سببٌ لطمأنينةِ النَّفْسِ وانشراحِ الصَّدْرِ، كما الكذبُ سببٌ لضيقِ الصَّدرِ، وسجنِ النفسِ.

دلَّ على ذلك حديثُ أبي الحوراء قال: قلتُ للحَسَنِ بن علي -رضي الله عنهما- ما حفظتَ من رسول الله -ﷺ-؟ قال: حفظتُ منه: الصدقُ طمأنينةٌ(٢)، والكذبُ ريبةٌ(٣)»(٤).

ومتى سارَ الإنسانُ في طريق الصدق في أقواله وأفعاله وأقامَ بينَهُ وبينَ الكذب حصنًا منيعًا لن تخطئَ له فراسةٌ -إن شاء الله- ولا سيَّما إذا أتى ببقيَّةِ الأسبابِ مجتمعةً.

١٢- غَضُّ البَصَرِ

غَضُّ البَصَرِ يورثُ صحَّةَ الفراسةِ فإنها من النورِ وثمراته وإذا استنارَ القلبُ صحَّتِ الفراسةُ.

ويُرجعُ شيخُ الإسلام -رحمه الله- سببَ الفراسةِ إلى الصَّلاحِ والالتزام بتقوى الله فينيرُ القلبُ.

---

(١) «رواه البخاري» (٣٣)، و«مسلم» (٥٩).

(٢) «الصدق طمأنينة» (أي أن الصدق يطمئن إليه القلب ويسكن» انظر «تحفة الأحوذي» (٧/ ١٨٧).

(٣) «الكذبُ ريبةٌ» (أي قلقُ النفس واضطرابُها، انظر «مرقاة المصابيح» (٦/ ٢٤).

(٤) (صحيح) وأخرجه أحمد» (١٧٢٢)، و«الترمذي» (٢٦٥٠)، وصححه الألباني -رحمه الله- في «صحيح الترمذي» (٢٠٤٥)، وصححه شيخُنا وتاجُ رأسنا الوادعيُّ -رحمه الله- في «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» (٣٨١٧).

قال -رحمه الله-: «وسرُّ هذا أنَّ الجزاءَ من جنس العمل، فمَنْ غَضَّ بصرَهُ عما حرَّمَ الله عليه، عوَّضَهُ الله من جنسه ما هو خيرٌ منه، فكما أمْسَكَ نور بصره عن المُحرَّمات أطلقَ اللهُ نورَ بصيرته وقلبه، فيرى به ما لمْ يَرهُ مَن أطْلَقَ بَصَرَهُ ولم يُغضَّهُ عن محارم الله»[1].

وقال ابنُ القيِّم -رحمه الله-: غضُّ البصر نورُ القلب وصحَّةُ الفراسة قال أبو شجاع الكرماني -رحمه اله-: من عَمَرَ ظاهرَهُ بإتِّباع السُّنَّة وباطنَهُ بدوام المراقبة، وكفَّ نفسَهُ عن الشهوات وغضَّ بصَره عن المحارم واعتادَ أكلَ الحلال لم تُخْطِىءْ له فراسةٌ وقد ذكر الله -سبحانه وتعالى- قصةَ قوم لوط وما ابْتُلُوا به ثُمَّ قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] وهم المتفرِّسون الذين سلموا من النَّظر المحرَّم والفاحشَة وقال تعالى عَقبَ أمره للمؤمنين بغَضِّ أبصارهم وحفظ فروجهم: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

وسر هذا: أن الجزاء من جنس العمل فمن غض بصره عما حرم الله -عزَّ وجل- عوضه الله من جنسه ما هو خير منه فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه فرأى به ما لم يره من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله -سبحانه وتعالى- وهذا أمر مرْيَحُسُّهُ الإنسانُ من نفسه فإن القلبَ كالمرآة والهوى كالصَّدأ فيها فإذا خَلُصَت المرآةُ من الصَّدأ انطبعتْ فيه صُوَرُ الحقائق كما هي عليه. وإذا صَدِئَتْ لم تَنْطَبِعْ فيها صورُ المعلومات فيكونُ علمُهُ وكلامُهُ من بابِ الخَرْصِ والظُّنون[2].

١٣- تحري الحلال

أكلُ الحلال من أعظم أسباب نفاذ الفراسة لأنه ينيرُ القلبَ، ويشرَحُ الصدرَ ويورثُ الطمأنينةَ، والسكينةَ والخَشيةَ ويعينُ الجوارحَ على العبادَة والطاعَة ومن أسباب قبول العملِ الصالحِ وإجابة الدعاء.

(١) «الفتاوى» (١/ ٣٨١).
(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٤٨).

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «أيها الناس، إن الله طيبٌ؛ لا يقبلُ إلا طيبًا، وإنَّ أمر المؤمنين بما أمرَ به المرسلين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ثم ذكر الرَّجُلَ يطيلُ السَّفَرَ أشعثَ[٢] أغبرَ يمدُّ يديْه إلى السَّماء يارَبِّ يارَبِّ ومطعَمُه حرامٌ ومشربُهُ حرامٌ وملبَسُهُ حرامٌ، وغُذِّيَ بالحرامِ فأنَّى يُستجابُ لذلك».

فتأمَّلْ -أخي الحبيب- إلى هذا الرجلِ الذي أستجمَعَ من صفات الذُّلِّ والمسكنَة والحاجة والفاقَة إلى ربِّه ما يؤكِّدُ شدةَ افتقاره، ولكنَّه حَرَمَ نفسَهُ من مَدَدِ الله وفضْله، وقطع صلتَهَ بربِّه وحالَ بينه وبين قَبول دعائه ما هو عليه من استعمال الحرامِ في المأكَلِ والمشرب والملبَسِ فماذا يبقى للعبد إذا انقطعتْ صلتُهُ بربِّه وحُجبَ دعاؤه وحال بينَه وبين رحمة ربِّه.

١٤- تعميرُ الباطنِ بالمراقَبَة، والظاهرِ بإتِّباعِ السُّنَّة

١- تعميرُ الباطنِ بالمراقبة، من أعظمِ أسبابِ حصولِ الفراسَةِ الإيمانيَّة

والمراقبةُ كما عرَّفها ابنُ القيِّم: «دوامُ علمِ العبدِ وتَيَقُّنِه باطِّلاعِ الحق -سبحانه وتعالى- على ظاهره وباطنه»[٣].

وفي حديث أبي هريرةَ -رضي الله عنه- قوله -ﷺ- وقد سئل ما الإحسانُ -رضي الله عنه- قوله -ﷺ- وقد سئل ما الإحسانُ؟ قال: «أَنْ تعبُدَ اللهَ كأنَّك تراهُ، فإن لمْ تكنْ تراهُ فإنَّه يراكَ»[٤].

---

(١) رواه مسلم (١٠١٥).
(٢) أشعث: المُغبَرُّ الرأس.
(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٦٨).
(٤) رواه البخاري (٥٠) واللفظ له. ومسلم (٩٠).

وقال ابنُ المبارك لرَجُل: راقب اللهَ -تعالى- فسألَهُ عن تفسيرها فقال: كُنْ أبدًا كأنَكَّ ترى الله -عزَّ وجلَّ-»[١].

وقال ابن الجوزيِّ -رحمه الله-: «الحقُّ -عزَ وجَلَّ- أقربُ إلى عبده من حبل الوريد. لكنه عاملَ العبدَ معاملةَ الغائب عنه البعيد منه، فأمَرَ بقصْد نيَّته، ورفْع اليَدين إليه، والسؤال له. فقلوبُ الجَّهال تستشعرُ البُعْدَ، ولذلك تقع منهم المعاصي، إذ لو تحقَّقَتْ مراقبُهم للحاضر الناظر لكفُّوا الأكُفَّ عن الخطايا. والمُتيَقِّظُونَ علموا قُربَهُ فَحَضَرَتْهم المراقبةُ، وكَفَّتْهم عن الانبساط»[٢] وقال ابن القيم -رحمه الله-: «ينبغي أن يراقبَ الإنسانُ نَفْسَهُ قبلَ العمل هل يُحَرِّكُهُ عليه هوى النفس أو المحرِّكُ لَهُ هو الله -تعالى- خاصةً؟ فإن كان اللهُ -تعالى- أمضاه، وإلا تركَهُ، وهذا هو الإخلاصُ.

قال الحسنُ: رحم الله عبدًا وَقَفَ عندهَمِّ، فإن كان لله مضى، وإن كان لغَيره تأخَّرَ.

فهذه مراقبةُ العبد في الطاعَة وهو أن يكونَ مخلصًا فيها ومراقبتُهُ في المعصيَة تكون بالتوبَة والنَّدَم والإقلاع، ومراقبتُهُ في المباح تكون بمراعاة الأدب والشُّكر على النِّعم، فإنه لا يخلُو من نعمة لابُدَّ لَهُ من الشُّكْر عليها، ولا يخلو من بليَّة لابُدَ من الصبر عليها وكلُّ ذلك من المراقبة»[٣].

٢- تعميرُ الظاهرِ بإتِّباعِ السُّنَّةِ

تعميرُ الظاهر بإتباع السُّنَّة سببٌ من أسباب حصول الفراسَة فتأمَّلْ هُدَى نبيِّك -ﷺ-[٤] ثم امتدِ به فإنَّ خير الهُدَى هُدَى محمد -ﷺ- ومن الاقتداء به إتباعُ سنَّته

(١) الإحياء» (٤/ ٢٩٧).
(٢) «صيد الخاطر» (٢٣٦).
(٣) «إغاثة اللهفان» (٣٩٢).
(٤) لعلَّ من أعظم الكتب في تبيان الهَدْي النبوي كتاب «زاد المعاد في هدى خير العباد» لابن القيم -رحمه الله- فينبغي ألا تخلو منه بيت من بيوت المسلمين، فإنه مبارك!

في الهدى الظاهر بإعفاء اللحيَة وحفِّ الشارب، ولُبْس الثياب البيض، والعنايَة بنظافَتها من غير تكلُّف لا كِبْرٌ ولا خُيَلاء مع طَرْح التَّشبُّه جانبًا.

فإن النبيَّ -ﷺ- قال: «البَذاذَةُ[1] من الإيمان»[2] وجاء رجلٌ إلى النبيِّ -ﷺ- فسلَّمَ عليه، فقال له: النَّبيُّ -ﷺ-: «هذه من ثياب الكفَّار فلا تلبَسْها»[3] وهذا النَّصُّ دليلٌ على حُرمَة التزيِّ بزيِّ الكفَّار.

وقال -ﷺ- كما في «الصحيحين»[4]: «خالفوا المشركين» وعند مسلم: «خالفوا المجوسَ».

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ -رحمه الله-:

«المخالفةُ لهم في الهدي الظاهر مصلحةٌ ومنفَعَةٌ لعباد الله المؤمنين، لما في مخالفتهم من المجانَبَة، والمبايَنَة التي تُوجِبُ المباعدةَ عن أعمال أهلِ الجحيم».

وقال ابنُ القيم -رحمه الله-:

«نهى عن التشبُّه بأهل الكتاب وغيرهم منل الكفَّار في مواضعَ كثيرة؛ لأنَّ المشابَهَةَ الظاهرةَ ذَريعةٌ إلى الموافقة الباطنة، فإذا أشبهَ الهديُ الهديَ، أشبه القلبُ القلبَ».

---

(١) قال ابن الأثير في «غريب الحديث» (١/ ١١٠): «البذاذة: رثاثة الهيئة، يقال: بذُّ الهيئة، وباذُّ الهيئة: أي رثُّ اللِّبْسة، أراد التواضعَ في اللباس، وتَرْكَ التبجُّح فيه».

(٢) (صحيح) أخرجه ابنَ ماجه (٤١٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤١).

(٣) رواه مسلم (٣/ ١٦٤٧).

(٤) رواه «البخاري» (٥٥٥٣)، ومسلم (٢٥٩).

(٥) رواه مسلم (٢٦٠).

(٦) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٥١).

(٧) «إغاثة الله فان» (١/ ٣٤٩).

١٥- صفاءُ الفكرِ وحدَّةُ الخاطرِ

صفاءُ الفكرِ وحدَّةُ الخاطرِ من أعظمِ أسبابِ الحصولِ على الفراسةِ الإيمانيَّةِ وفيما يأتي الحديثُ عن صفاءِ الفكرِ ثم حدَّةِ الخاطرِ.

١- صفاءُ الفكرِ:

هو أن يتلقَّى الإنسانُ أفكارَهُ من الكتابِ والسُّنَّةِ بفَهْمِ السَّلفِ الصالحِ لا غيرَ فإن تلقَّى أفكارَهُ من غيرِ هذين فقد تلوَّثَ فكرُهُ وقلبُهُ وحتى لو صُبِغَ من ذلك بصَبْغَةٍ، فأوَّلُ من تعرَّضَ لتلوُّثِ الفكرِ بالنَّقْضِ هو عمرُ بنُ الخطَّابِ -رضي الله عنه- فعندما فتح سعدُ بن أبي وقَّاصَ -رضي الله عنه- هو وجيشُهُ الميمونُ مدائنَ كسرى وجدوا فيها كتبًا كثيرةً فكتبوا إلى عُمَرَ -رضي الله عنه- يا أميرَ المؤمنين، قد وجدنا كذا وكذا، فما رأيُك أن نحملَها ونَنْقُلَها للمسلمين فلعلَّ فيها علومًا!

فكتب -رضي الله عنه-: «إن اللهَ -سبحانه وتعالى- قَدْ أغنانا بمحمد -ﷺ-، فإن يكُنْ في هذه الكتبِ هُدَىً فقد هدانا اللهُ، وإن يكن فيها غيْرُ ذلك فقد كفانا الله، فاطرحوها في الماء أو حَرِّقوها» هكذا كان حرْصُ عمر -رضي الله عنه- على صفاءِ مصدرِ التلقِّي فيما يتعلَّقُ بالفكرِ والعقيدة(١).

(١) هذا الموقفُ الذي اتَّخَذَهُ عمرُ -رضي الله عنه- لم يَظَلَّ معمولاً به ففي عهد خالد بن يزيد الأمدي صدرَ الأمرُ بترجَمَةِ كُتُبِ اليونان وليْتَهُ اكتفى بتقصِّي علومِ الطبِّ والكيمياء فهذه علومٌ نافعةٌ ولا علاقَةَ لها بالعقيدَةِ والفكْرِ والقيمَ، ثم تلاهُ أبو جَعْفر المنصورُ الذي ترجَم المزيدَ من كُتُبِ الفلاسفة ثم جاء المأمونُ ففتَحَ البابَ على مصراعَيه وانهمرت البدعُ على المسلمين فظهرت أقوالُ القدريةَ والمُعْتزلة والأشاعرةَ والخ وإلى اليوم والكفرُ المناهضُ للكتاب والسنة بفَهْم سلف الأمة لا يزالُ يلقى رواجًا في بلادِ المسلمين، والذين يُروِّجون لهذا الفكرِ أناسٌ من أبناء جلْدَتنا ويتكلَّمون بألسنتا فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون» انظر «حماية الفكر» لعبد العزيز السويدان (٢-٣). بتصرُّفٍ واختصارٍ.

والمقصودُ بصفاء الفكْرِ أن يعتمدَ المرءُ على الكتاب والسنة بفَهْمِ سلف الأُمَّة فإن جاءَهُ من جانب الغَرْبِ ناعبٌ عَرَضَهُ على الكتاب والسنة فإن وافَقَتهُما[1] أخذ من ذلك وإن خالفَهما أُلقي في الماء أو حُرِقَ امتثالاً لأمرِ عُمَرَ -رضي الله عنه- ليسلَمَ له فكرهُ.

٢- حِدَّةُ الخاطِر:

هو أصالةُ الراي، وإحكامُهُ، وسَدَادُهُ، ونُضْجُهُ قال الطُّغرائيُّ في مطلعِ قصيدته المشهورةِ المعروفةِ بلاميَّةِ العجمِ:

أصالةُ الرأي صانَتْني عن الخَطَلِ ... وحليَةُ الفضْلِ زانَتْني لدى العَطَلِ

وأصيلُ الرأي ينظرُ إلى الغيبِ من ستْرٍ رقيقٍ

قال البحتريُّ يمدحُ رجلاً يمتازُ بحدَّةِ الخاطِرِ

عليمٌ بما خلفَ العواقبِ إن سَرَتْ ... رويَّتُهُ فضلاً بما في العواقبِ

وصَيِّقَلُ آراءٍ يَبِيتُ يكُدُّها ... ويشحَذُها شَحْذَ المُدى للنَّوائبِ

ومما يعين على حدَّةِ الخاطِرِ ويصقُلُهُ لك

١- التحلِّي بالتَّقْوى والتجرُّدُ من الهوى

٢- طولُ التجارب فهي تمدُّ الإنسانَ بالخبرةِ، ومعرفَةِ طبائعِ النفوسِ وتُوَرِّثُه حسن وحُسْنَ الفراسَةِ.

٣- مخالطةُ ذوي البصائرِ النافذةِ، والعقولِ المستنيرةِ.

---

(١) لا يتعارضُ مع الكتاب والسنة العلومُ الدنيويَّةُ بل الأخذُ بذلك مما حث عليه وبعضُهُ يكونُ واجبًا كالإعداد والتسلُّح ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وبعضُهُ مستحبٌّ بل مندوبٌ إليه كالطبِّ والهندسة ونحو ذلك ويدخُلُ فيه الكتبُ التي تشرحُهُ وترشدُ إليه.

٤- النظرُ في سيَرِ العظماء.

٥- الأخذُ بالتثبُّت والتروِّي.

لأنَّ التثبُّتَ والتَّروِّيَ، والنظر في العواقب من سمات أهل العلم.

٦- أن يكونَ الإنسانُ وقتَ إبداء الرأي وخَاصةً المتفرِّس مطمئنًا؛ لأنَّ الإضطرابَ مدعاةٌ للخطأ -مجلبةٌ لاختلاط الأمور، قال حكيمٌ: «إن لابتداء الكلام فتنةً تروقُ، وجدةً تُعْجبُ، فإذا سكَنَتْ القريحةُ، وعَدلَ التأمُّلُ، وصَفَتْ النَّفسُ فليُعدْ النظرَ، وليكنْ فَرَحُهُ بإحسانه مُساويًا لغمِّه بإساءَته؛ فقد قالت الخوارجُ لعبد الله بن واهب الراسبيِّ: نبايعُكَ السَّاعَةَ فقد رأينا ذلكَ، فقال: دَعُوا الرأيَ حتَّى يبلُغَ أناتَهُ، فإنَّهُ لا خيرَ في الرأي الفطير، والكلامِ القَضيب».

وقال معاويةُ بنُ أبي سفيانَ لعبد الله بن جعفرَ -رضي الله عنهم- «ما عندَك في كذا وكذا؟

فقال: أريدُ أن أصْقُلَ عقلي بنَوْمَة القائلَة، ثم أروحُ فأقولُ بعدُ ما عندي»[1].

١٦- الفطْنَةُ وسرعَةُ البَديهَة

الفطنةُ وسرعةُ البديهة من الأمور المعُينة على الفراسة.

وفيما يأتي الحديثُ عن الفطنَة ثم سرعَة البديهَة

١- الفطنةُ:

هي التنبُّهُ للشيء الذي يُقْصَدُ معرفتُهُ

ومن صُوَرِ الفطنة فطنتهُ أبي بكرٍ -رضي الله عنه- فإنَّهُ لما «خطبَ رسولُ الله -

(١) انظر «ارتسامات لمحمد الحمد (٢٢٦-٢٣٥) بتصرف واختصار.

ﷺ- الناسَ وقال: «إن اللهَ خَيَّرَ عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختارَ ذلك العبدُ ما عند الله».

قال: فبكى أبو بكر، فعجبْنا لبكائه ن يُخْبرَ رسولُ الله -ﷺ- عن عبدٍ خُيِّرَ، فكان رسول الله -ﷺ- هو المخيَّرَ، وكان أبو بكرٍ أعلمَنَا»(١).

ومن ذلك فطنةُ ابنِ عبَّاسٍ (رضي الله عنهما):

فقد «كان عمرُ بنُ الخطاب -رضي الله عنه- يُدْني ابنَ عبَّاس، فقال لهُ عبد الرحمن بنُ عوف: إن لنا أبناءً مثلَهُ، فقال: إنَّهُ من حيثُ تعلمُ، فسأل عمرُ بنَ عباسٍ عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].

فقال: أجَلُ رسول الله -ﷺ- أعْلَمَهُ إيَّاهُ، فقال: ما أعْلَمُ منَّها إلاَّ ما تَعْلَمُ»(٢).

فمنْ خلال ما تقدَّمَ نُدْرِكُ أن الفطنةَ هي الحذقُ والفَهْمُ، وتهيُّؤُ النفس لتصوُّر ما يَرِدُ عليها من الغَيْر ومتى أتى المرءُ بأسباب الحصول على الفراسة مجتمعةً فالفطنةُ تحصُلُ بحصولها! أي أنَّ أسبابَ الحصول على الفراسة هي الأسبابُ ذاتُها في الحصول على الفطْنَة! زِدْ على ذلك العلمَ فهو وساطةُ عقْدها.

٢- البَدِيْهَةُ

هي التخلُّصُ من المواقف الحَرِجَة بجواب حاضرٍ وهي موهبَةٌ من الله -سبحانهُ- يَعَقبُها لمن يشاءُ من عباده.

وكتبُ السِّيَر حافلةٌ بهذه الخَصْلة فمنها:

ما ذكرَهُ ابنُ حُجَّةَ الحمويُّ أن أبا عبيدةَ قال: التقى جريرُ والفَرَزْدَقُ بمِنَى وهما حاجَّان، فقال الفرزدقُ لجرير:

(١) رواه البخاري (٣٦٥٤) واللفظ له، ومسلم (٢٣٨٢).

(٢) «رواه البخاري» (٣٤٢٨).

فـــإنَّك لاق بالمنازل من منىً فخاراً فأخبرْني بمَنْ أنتَ فاخرُ

فقال جريرٌ: لَبَّيْكَ اللهمَّ لَبَّيْكَ!

فقال أبو عبيدةَ: وأصحابنَا يَسْتَحْسنون هذا الجوابَ من جريرٍ ويَعْجَبون منه(١)

ويزورُ القاضي الفاضلُ البيسانيُّ (الكاتبُ المشهورُ) العمادَ الكاتبَ فلما ركبَ لينْصرفَ قال له العمادُ «سِرْ فلا كبابك الفَرَسُ» ففطنَ القاضي أن في الكلامِ مُحسِّنَ القلبِ(٢) فأجابَ على البديهةِ: «دامَ عُلا العماد»(٣).

ويدخُلُ أبو تَمَّامَ علي أحمد بنِ المُعْتَصِمِ ليمدحُهُ بعقيدةٍ فلما بلَغَ قولَهُ

إقدامُ عَمرٍو في سَماحة حاتمٍ في حلمِ أحْنفَ في ذكاءِ إياسِ

فقال له الكنديُّ بجرأةٍ وثباتٍ: الأميرُ فوقَ من ذَكَرْتَ فأطرقَ أبو تمامَ قليلاً ثمَّ قال:

لا تُنْكروا ضربي له مَنْ دونَهُ مَثَلاً شَروداً في النَّدى والباسِ

فاللهُ قد ضرب الأقلَّ لنورِهِ مثلاً من المِشْكاةِ والنِّبْراسِ

---

(١) «ثمرات الأوراق» (٧٨).

(٢) مُحَسِّنُ القلب هو ما يعرفُ عند البلاغيين في «فَنِّ البديع» بـمحسن القلب المستوي، وهو الذي إذا قُرِأتْ حروفُهُ من أوَّلها إلى آخرها أو العكْسُ كان المعنى واللفظُ واحداً، وهو موجودٌ في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿وربك فكبر﴾ ﴿كل في فلك﴾ ومن قولهم: «عقربٌ تحتَ بُرْقُعٍ».

وقال الأرجَانيُّ:

مودَّتُهُ تدومُ لكلِّ هول وهلْ كُلُّ مودَّتُهُ تدومُ

والشاهدُ هنا هو فطنةُ القاضي الفاضِل وسرعةُ بديهته حيثُ أجابَ على الفَوْرِ بما يناسبُ المقامَ. «ارتسامات» لمحمد الحمد (٢١٠-٢١١).

(٣) سِيَرُ أعلام النُّبلاء» (٢١/ ٣٤٧).

فسكتَ الكنديُّ وأُعجبَ الفئةُ الحاضرةُ لفطْنة أبي تمامَ وسُرْعة بديهته![1].

وسرعةُ البديهَة مع أنَّها موهبةٌ من الله لكنَّها تُدْركُ بالمِران والمِراس، والقِراءَة، والنَّظرِ في سِيَرِ أعاظِمِ الرجال[2].

●●●

(١) «المفرد العلم» (٣٨) للهاشمي.

(٢) انظر: «ارتسامات (١٠٩ وما بعده) بتصرف.

موانعُ اكتسابِ الفِراسةِ

١- الغَفْلَةُ عن الله -تبارك وتعالى- وعدمُ مراقبته في السِّرِّ والعَلَنِ(١).

٢- الجُرأةُ على ارتكابِ المعاصي كبيرِها وصغيرِها -دون خجلٍ أو استحياءٍ من خَلْقه.

٣- البُعدُ عن هَدْيِ رسولِ الله -ﷺ- والتَّنصُّلُ من تعاليمه وأوامره.

٤- سوءُ الخُلُقِ مع الخَلْق، والجفاءُ في التعامُلِ معهم.

٥- التَّعلُّقُ بغيرِ الله في الأمورِ الدُّنيويَّة، والاعتمادُ على الخَلْقِ، ونسيانُ الخَالقِ سبحانه وتعالى.

●●●

(١) فائدةٌ: قال طاشُ كُبرى زادَهُ -رحمهُ اللهُ-:
اعْلمْ أنَّ من كانَ
١- مراقبًا أحوالَهُ وأنفاسَهُ.
٢- مُجْتَنبًا عن المعاصي -صغائرِها وكبائرِها-
٣- مُتَخَلِّقًا بالأخلاق النبويَّة.
٤- متحليًا بالآداب المُصْطفويَّة.
٥- ولا يرى الخيرَ والشَّرَّ والنَّفْعَ والضَّرَّ إلا من الله -تعالى-
٦- ولا يلتفتُ إلى مخلوق لِفَرضُ حاجته.
٧- ولا يعتمدُ عليه طرفةَ عَين.
تكونُ فراستُهُ كالشَّمسِ ساطعةً أنوارُها، لامعةً أضواؤها، ينطقُ بالصِّدق، ويقولُ: الحقَّ.